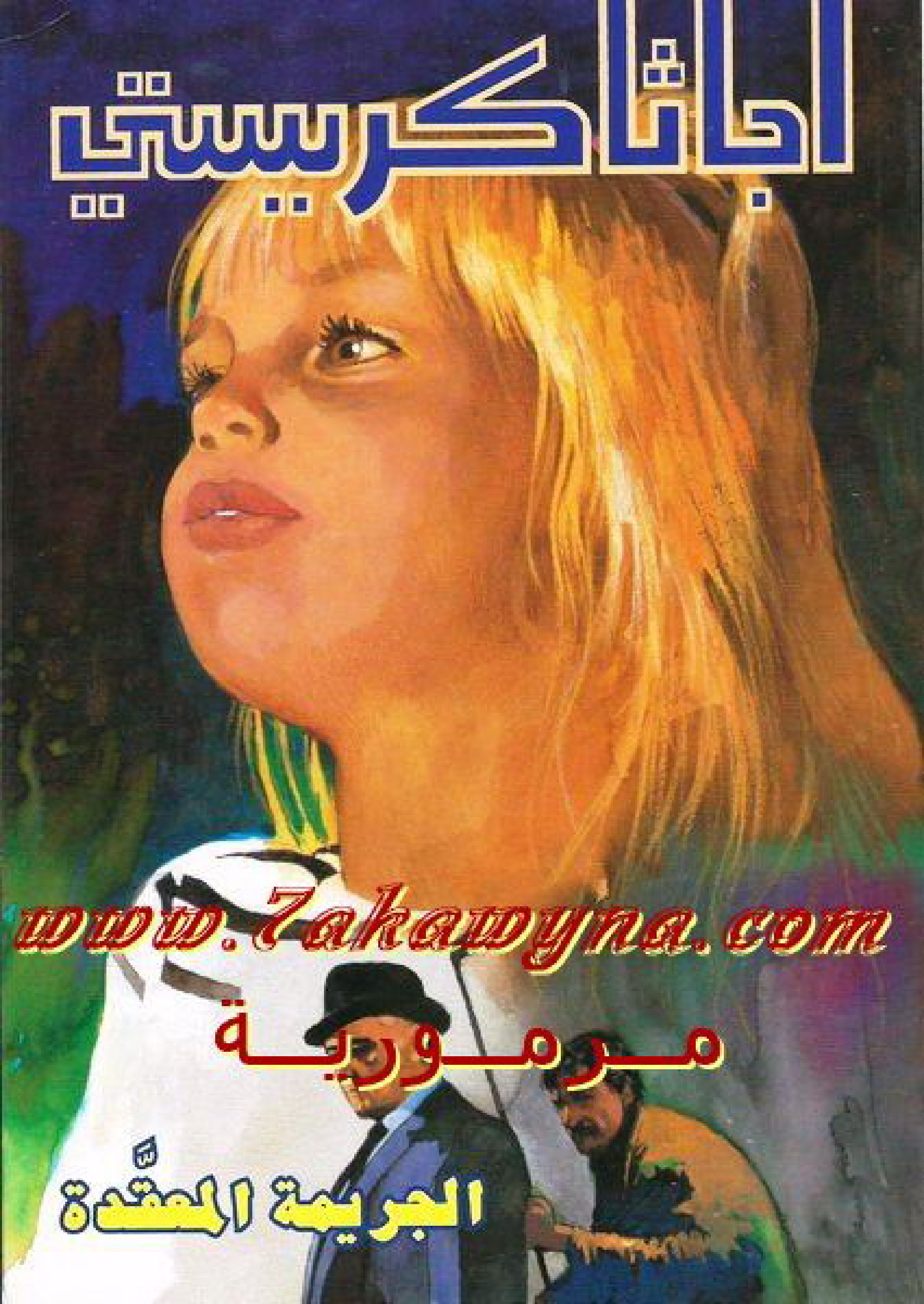


اجاثا كريستي
www.7akawyna.com
مرمورية
الجريمة المعقدة



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

–الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

– بيع من كتبها أكثر من 900 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

– كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعًا. تميّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

الجريمة المعقّدة

Hallowe'en Party

كان حفلًا رائعًا، سَعِدَ به الأطفالُ كثيرًا، وازدادتْ سعادةُ السيدةِ «أريادن» بنجاحِ هذا الحفلِ المقامِ في بيتِها، لكنّ تلك السعادة لم تلبثْ أن تحوّلت إلى ذُعْرٍ شديدٍ أصابَ كُلَّ الحضورِ، وذلك عندما اكْتُشِفتْ جثةُ إحدى الفتياتِ المشاركاتِ في الحفْلِ، وقد تمّ إغراقُها بإحدى وسائلِ اللّعبِ المستخدمةِ في الحفْل. وإذا كانتْ تلك الفتاةُ قد تحدّثتْ في أثناءِ الحفْلِ عن جريمةٍ قد شاهدتها بعينيها منذ بِضْعِ سنواتٍ مضتْ فهل يكون لهذا دَخْلٌ في قتلها؟

حقًا إنها جريمةٌ مُحيِّرةٌ، بل ومُعقّدةٌ. ولذا فهي تستحقُّ أنْ تتابعها بنفسك.

ثمن الكتاب

البلد	الثمن	البلد	الثمن
لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	1.5 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 995338320-0



الاسم الأصلي للرواية

Hallowe'en Party

(1969)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

- 1 -

ذهبت السيدة "أريادن أوليفر" مع "جوديث بتلر" صديقتها التي جاءت للإقامة معها؛ للمشاركة في الإعداد للحفل الذي يقام في المساء للأطفال، وكان البيت يعج في ذلك الوقت بالنشاط، والسيدات يتحركن في كل مكان؛ لتعليق الزينات والبالونات الملونة . وكان الحفل يقام للأطفال بين سن العاشرة والسابعة عشرة في عيد الأشباح الذي يقام في 31 تشرين الأول (أكتوبر)، وحاولت السيدة "أريادن" أن تتبادل الحديث مع بعض السيدات، ولكنهن كن منصرفات إلى العمل، وتحت سلة مملوءة بالتفاح، فقالت :

– تفاح أحمر رائع.. وقالت "روينا دريك" :

– تفاح أحمر، ولكنه ليس من النوع الفاخر.. أحضرناه من أجل لعبة صيد التفاح من الماء. هل تسمحين يا "بياتريس" بنقل التفاح إلى المكتبة؟ لعبة أكل التفاح في الماء تؤدي دائمًا إلى سكب الماء على السجادة ولكنها لحسن الحظ قديمة.. أوه شكرًا لك يا "جويس" !

كانت "جويس" فتاة ممتلئة الجسم في الثالثة عشرة من عمرها، وحملت "جويس" سلة التفاح وسقطت تفاحتان على الأرض وتدحرجت إحداهما بين قدمي السيدة "أوليفر"، قالت "جويس" :

– ألا تحبين التفاح؟ قرأت ذلك أو ربما سمعته في التليفزيون، ألست كاتبة الروايات البوليسية؟ قالت السيدة "أوليفر" :

– بلى.

– لماذا لا تكتبين لنا في الحفل قصة جريمة لنشارك في حلها؟ قالت السيدة "أوليفر" :

– فعلت ذلك من قبل ولكنها لم تكن تجربة ناجحة... وقالت "جويس" :

– ولكنك كتبت العديد من الكتب، ألا تكسبين الكثير من المال؟

دخلت في تلك اللحظة السيدة "هارجريفز" زوجة عازف الأورج، وعندما

رأت سلة التفاح قالت :

– أهذا هو التفاح المخصص للعب؟ سوف تكون لعبة مسلية .

قالت الآنسة "لي" مساعدة الطبيب عندما رأت الإناء البلاستيكي الذي سوف تُجرى فيه اللعبة :

– من رأيي استخدام إناء من الزنك حتى لا ينقلب بسهولة .. أين ستُجرى اللعبة يا سيدة "دريك"؟ أجابت السيدة "دريك" قائلة :

– أعتقد أن المكتبة أنسب مكان؛ لأن السجادة قديمة وسوف ينسكب عليها الماء...

– حسن... سوف ننقل التفاح إلى المكتبة.. "روينا". إليك سلة أخرى من التفاح.

وسألت إحداهن السيدة "دريك" عن المكان الذي سوف تُجرى فيه لعبة أكل حبات العنب المحمية فوق النار، وعندما علمت أن اللعبة ستكون في غرفة الطعام اقترحت عليها تغطية المائدة بمفرش من المطاط، وسألت أخرى :

– وماذا بشأن المرايا؟ هل سنرى فيها أزواجنا حقًا؟

وحدثت السيدة "أوليفر" نفسها وهي تستعرض وجوه الحاضرين قائلة :

– لو أنني فكرت في كتابة كتاب عن هذه المجموعة، كيف أعد الكتاب؟ إنهم أناس ظرفاء على ما أعتقد، ولكن من يدري؟

عادت السيدة "أوليفر" تفكر في أنهم جميعًا من أهل "وودلي كومون"، وهي لا تكاد تعرف عنهم شيئًا أكثر من المعلومات التي سمعتها من "جوديث".. للآنسة "جونسون" علاقة بالكنيسة ولعلها أخت راعي الكنيسة، أو لعلها أخت عازف الأورج.. أما "روينا دريك" ربة البيت، فهي أهم شخصيات "وودلي كومون".. أما الأطفال فهم مراهقون من الأولاد والبنات. وهم لا يمثلون في ذهنها أكثر من أسماء.. فهناك من تدعى "آن".. و"بياتريس" و"كاثي".. و"ديانا" و"جويس"... أما الأخيرة فثرثارة وتوجه الكثير من الأسئلة.. وهمست السيدة "أوليفر" لنفسها :

لا أشعر بالميل نحو "جويس" هذه.. وكان هناك ولدان بالغان، ودخل ولد صغير خجول وقال للسيدة "دريك" :

– أرسلت لك أمي هذه المرايا. فقالت له السيدة "دريك" :

– شكرًا جزيلاً لك يا "إيدي". قالت الفتاة التي تسمى "آن" :

– إنها مجرد مرايا عادية.. هل سنرى فيها أزواج المستقبل حقًا؟ قالت "جوديث بتلر" :

– سوف ترى بعضكن أزواجهن ولن ترى البعض شيئًا..

قالت "آن" للسيدة "أوليفر" :

– لقد قرأت إحدى رواياتك.. (السمكة تموت)... كانت رواية جيدة. قالت "جويس" :

– لم تعجبني تلك الرواية.. لم تكن فيها دماء كثيرة.. أنا أحب قصص الجرائم التي تسيل فيها دماء غزيرة.. قالت لها السيدة "أوليفر" :

– ألا تكون مثل هذه الروايات مقززة؟ قالت "جويس" :

– ولكنها مثيرة. قالت السيدة "أوليفر" :

– ليس بالضرورة.

– رأيت بعيني ذات مرة إحدى الجرائم. قالت الآنسة "هويتاكر" المدرسة :

– لا تكوني حمقاء يا "جويس". قالت "جويس" بإصرار :

– رأيت بعينيّ جريمة. حملقت "كاثي" إلى وجه "جويس" وهي تقول بانفعال :

– هل رأيت جريمة حقيقية؟ قالت السيدة "دريك" باستياء :

– لم تر شيئًا بالتأكيد.. لا تقولي مثل هذه الحماقات يا "جويس". عادت "جويس" تقول بإصرار :

– بل رأيت جريمة.. رأيت جريمة.. رأيتها رأي العين. قال صبي في السابعة عشرة من عمره من فوق السلم الذي يرتقيه :

– أي جريمة رأيتها؟ قالت "بياتريس" :

– أنا لا أصدقها. قالت والدة "كاثي" :

– لم تر شيئًا بالتأكيد.. إنها قصة من وحي خيالها.

– لم أتخيل شيئًا.. لقد رأيت الجريمة بنفسي. سألتها "كاثي" :

– لماذا لم تخبري الشرطة؟

– لأنني لم أدرك وقتها أنها جريمة.. ولكن كلمة سمعتها منذ شهرين من أحد الأشخاص جعلتني أتذكر ما حدث فجأة، وتأكد لي أنها كانت جريمة حقيقية. قالت "بياتريس" :

– متى وقعت تلك الجريمة؟ قالت "جويس" :

– منذ بضعة أعوام.. كنت صغيرة جداً.. سألت "بياتريس" :

– من قتل من ؟ قالت "جويس" باستياء:

– لن أخبر أحداً منكم.. جميعكم لا تريدون تصديقي.

انسحبت السيدة "أوليفر" ؛ لتبحث لها عن مكان هادئ في المنزل الذي يقام فيه الحفل، ويعرف باسم "آبل تريز" ، ثم عادت في السابعة والنصف حيث تكامل عدد المدعوين، وبدأ الحفل في موعده..

كانت السلالم مزدانة بالمصابيح الكهربائية الحمراء والزرقاء، ووصل الأولاد والبنات يحملون مكانس مزينة للاشتراك في مسابقة اختيار أجمل مكنسة ملونة وأعلنت السيدة "دريك" برنامج الحفل قائلة:

– أولاً مسابقة المكانس للصغار، ثم قمع الدقيق الذي تُجرى مسابقته في غرفة المعيشة الصغيرة، ثم صيد التفاح من الماء، يتلو ذلك الرقص، ويتم استبدال المشتركين في الرقص كلما أطفئت الأنوار، وتتجه الفتيات بعد ذلك إلى غرفة المكتب الصغيرة حيث تسلم لهن المرايا، ويقدم العشاء بعد ذلك، ثم تجرى مسابقة أكل العنب المحمي فوق النار وينتهي الحفل بتقديم الجوائز.. وقالت "أريادن أوليفر" :

– كيف تتم لعبة قمع الدقيق؟ أجابت السيدة "دريك" قائلة:

– أوه! نعم.. لم تكوني هنا عندما كنا نتحدث عن اللعبة.. سوف نملأ قمعًا بالدقيق ثم نقلبه ونضع فوقه قطعة نقود ونطلب من كل متسابق أن يملأ ملعقة من

الدقيق دون أن يتسبب في سقوط قطعة النقود، ويخرج من المسابقة من يسقط قطعة النقود، والذي يفوز يحصل على النقود بالتأكيد.

انطلقت ضحكات المرح والسرور في أثناء إجراء لعبة أكل التفاح المغمور في الماء، وخرج المتسابقون من المكتبة ووجوههم وثيابهم مبللة بالماء. ثم بدأت اللعبة التي تستحوذ على مشاعر الفتيات، الساحرة التي تمثل دورها السيدة "جود بودي" ، حيث تعطي كل فتاة تريد أن ترى زوج المستقبل مرآة وتطلب منها النظر في المرآة بإمعان، حتى إذا أطفئت أنوار الحجرة رأت الفتاة في المرآة وجه الزوج، وبدأت التجربة مع "بياتريس" ، وعندما أطفئ نور الحجرة صاحت "بياتريس" بجذل:

– أوه! لقد رأيته! له لحية حمراء لطيفة.. وسألت السيدة "أوليفر" عن الطريقة التي تنعكس بها الصور على المرآة، وعرفت أن "روينا" كلّفت "نيكي" الذي يهوى التصوير بإعداد مجموعة من الصور التي يسلط عليها شعاع من الضوء فتنعكس على المرآة التي تحملها الفتاة..

أجريت اللعبة الأخيرة، ثم أعلن عن تقديم العشاء، وساد جو من المرح والهرج، ثم قدمت الجوائز للفائزين، وقالت "روينا" :

– حققت الحفلة نجاحًا كبيرًا.

– كان لابد لها من النجاح بعد كل الجهد الذي قمت به. وقالت "جوديث" بهدوء:

– كانت حفلة رائعة.. ويجب أن ننظف المكان بعض الشيء حتى نخفف العبء عن الخادمة في الصباح.

✿✿✿✿✿

- 2 -

رن جرس التليفون بإلحاح في إحدى شقق "لندن"، ورفع "هركيول بوارو" السماعة قائلاً:

– "هركيول بوارو" المتحدث. سمع من الطرف الآخر صوتًا نسائيًا يقول بشوق:

– حمداً لله أن عثرت عليك.. كنت في أمس الحاجة إلى الاتصال بك.

– مع من أتشرف بالحديث؟ قال الصوت النسائي بدهشة:

– ألم تعرف الصوت؟

– نعم.. أنت صديقتي "أريادن". قالت "أريادن":

–أنا في حالة يرثى لها.. هل أستطيع الحضور لمقابلتك الآن؟

فكر "بوارو" لحظة، فهو يعرف أنه إذا سمح للسيدة "أوليفر" بالمجيء فلن يستطيع التخلص منها بسهولة، وأنه سوف يظل يستمع إلى همومها ومشاكلها التي لا تنتهي، وقال لها أخيراً:

– هل حدث ما يثير أعصابك؟

– نعم.. لا أدري كيف أتصرف.. هل أستطيع الحضور الآن؟

– بكل تأكيد.. يسعدني بالتأكيد أن أستقبلك. وضع "بوارو" السماعة، وطلب من خادمه "جورج" أن يعد له كأساً من الشراب، وكوبًا من عصير الليمون للسيدة "أوليفر" التي سوف تصل في خلال عشر دقائق..

اندفعت السيدة "أوليفر" مهرولة إلى غرفة الجلوس و"جورج" يلهث وراءها، وفوجئ "بوارو" بضيفته ترتدي سترة من الجلد السميك الذي يرتديه البحارة والماء يقطر منها، وطلب منها أن تخلع السترة وتشرب عصير الليمون، وقالت السيدة "أوليفر":

– السترة مبللة بالتأكيد... أنا أكره الماء.. لم يسبق لي أن فكرت في هذا الأمر خلعت السيدة "أوليفر" السترة المبللة وغاصت في أحد المقاعد وهي تقول:

– إنني أكاد لا أصدق ولكنه حدث.. لا أدري من أين أبدأ؟

– هدئي من روعك وقصي عليّ القصة من البداية.. ما الأمر الذي يزعجك؟

– حسن.. كانت البداية حفل عيد الأشباح.. هل لديك فكرة عن هذا العيد؟

– 31 تشرين الأول (أكتوبر).. حيث تركب الساحرات المكانس..

– نعم.. ولكن الحفل كان مخصصاً للأطفال، وبدأ الحفل بالبحث عن التفاح في الماء، وتضمنت فقرات الحفل لعبة الدقيق والعنب المحمي فوق النار.. والتطلع إلى زوج المستقبل في المرآة.. قال "بوارو" بهدوء:

– حدث كل ذلك في حفل عيد الأشباح؟

– نعم.. كانت الحفلة ناجحة للغاية، وانتهت بالعنب المحمي فوق النار.. وأعتقد أن شيئًا حدث في هذه اللحظة.

– أي شيء؟

– الجريمة.. بعد تلك اللعبة انصرف الجميع إلى بيوتهم.. وفطنوا في تلك اللحظة لاختفائها.

– اختفاء من؟

– فتاة.. فتاة تدعى "جويس".. نادى الجميع عليها وظنوا أنها قد تكون انصرفت بمفردها، وأعربت أمها عن استيائها الشديد.

– وهل عادت الفتاة بمفردها إلى البيت؟

– كلا.. لم تعد إلى بيتها.. عثرنا عليها أخيراً في المكتبة.. حيث كانت تجرى لعبة التفاح في إناء كبير من الزنك مملوء بالماء.. لو كان الإناء خفيفًا لما حدث ما حدث.

– ما الذي حدث؟

– ضغط أحدهم على رأسها المدسوس في الماء.. أغرقها.. لا أريد أن أرى تفاحاً بعد اليوم. نظر إليها "بوارو" باهتمام، وصب لها كأسًا من العصير الطازج وهو يقول لها:

– اشربي هذا فسوف يفيدك. تجرعت السيدة "أوليفر" كأسها ثم تنهدت

بارتياح قائلة:

– كنت على حق.. لقد أفادتني الكأس بالفعل..

– لا شك في أنك تلقيت صدمة شديدة.. متى وقع الحادث؟

– الليلة الماضية.. نعم.. الليلة الماضية.

– ولماذا فكرت في المجيء إليّ؟

– فكرت في أنك قد تستطيع مساعدتي.

– قد أستطيع وقد لا أستطيع.. هذا يتوقف على المعلومات التي تزودينني بها.. لاشك في أنهم أخطروا الشرطة واستدعوا الطبيب.. ماذا كان رأي الطبيب؟

– سوف تُعقد جلسة للتحقيق غداً أو بعد غد. سأل "بوارو" عن عمر الفتاة وقالت السيدة "أوليفر":

– لا أدري على وجه التحديد، ولكنني أعتقد أنها في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة.

– هل تبدو صغيرة بالنسبة إلى سنها؟

– كلا، كلا.. فهي أقرب إلى السمنة وتبدو ناضجة.

– هل تعنين أنها كانت تبدو جذابة جنسياً؟

– نعم.. ولكنني لا أعتقد أن ذلك سبب موتها.. إنني لم أخبرك عن السبب الذي دفعني إلى المجيء إليك..

– هل كنت تعرفين هذه الفتاة حق المعرفة؟

– لم أكن أعرفها بالمرة.. من الأفضل أن أشرح لك الأمر بشيء من التفصيل.. حدثت الجريمة في مكان يدعى "وودلي كومون" على مسافة خمسين أو خمسة وستين كيلو متراً من "لندن".. في المكان بعض البيوت الأنيقة وقد أقيمت فيه مؤخراً مدينة سكنية حديثة يقيم فيها بعض الناس القادرين.. ذهبت إلى ذلك المكان لأقيم مع صديقة تعرفت إليها في أثناء رحلة بحرية تدعى "جوديث بتلر"، ولها ابنة اسمها "ميراندا" في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة. طلبت مني "جوديث" أن أقضي معها بعض الوقت ودعتني إلى حضور حفلة يقيمها بعض الأصدقاء..

حفلة عيد الأشباح.. ترددت السيدة "أوليفر" قليلاً قبل أن تقول:

– هل تعتقد أن وجودي كان سبباً في وقوع الجريمة؟

– كلا.. لا أعتقد ذلك.. هل كان أحد حضور الحفلة يعرف شخصيتك؟

– نعم.. قالت إحدى الفتيات إنها معجبة برواياتي، وإن البنات يحببن قصص الجرائم.. كانت تلك هي البداية.. أعني الشيء الذي دفعني إلى المجيء إليك.

– وهو الشيء الذي لم تخبريني به بعد..

– حسن.. لم تخطر الفكرة ببالي أول الأمر.. أعني الأطفال.. الأطفال الذين يرسلونهم إلى المصحات العقلية ثم يسمحون لهم بالعودة إلى بيوتهم طالبين منهم أن يعيشوا حياة عادية. سأل "بوارو" باهتمام:

– هل تعنين أن بعض المراهقين كانوا من بين المدعوين إلى الحفل؟

– كان هنالك غلامان أو بمعنى أصح شابان في حوالي السادسة عشرة إلى الثامنة عشرة.

– أعتقد أن أحدهما هو الذي ارتكب الجريمة.. أليس هذا ما يفكر فيه رجال الشرطة؟

– لا يتحدث رجال الشرطة عما يفكرون فيه. ولكن يبدو أن هذا ما كان يشغل تفكيرهم.

– هل كانت تلك الفتاة "جويس" جذابة؟

– هل تعني بالنسبة إلى الأولاد؟ لا أظن.. لم تكن شديدة الجاذبية.. كانت من ذلك الطراز الذي يميل إلى الاستعراض والمبالغة.. وبما كان ما أقوله ليس لطيفاً ولكن..

– بل لابد من ذكر كل الحقائق عندما يتعلق الأمر بوقوع جريمة؟ كم كان عدد الأشخاص في الحفل؟

– حسن.. أعتقد أنهم كانوا خمساً أو ست سيدات، بعض الأمهات، مدرسة وزوجة الطبيب أو أخته، اثنان من الأزواج في منتصف العمر، والولدان اللذان يتراوح عمرهما بين ستة عشر وثمانية عشر عاماً.. وفتاة في الخامسة عشرة واثنتان

أو ثلاث تتراوح أعمارهن بين أحد عشر واثني عشر عاماً.. ربما كان المجموع يصل إلى خمسة وعشرين أو ثلاثين فرداً على ما أعتقد.

– هل كان بينهم غرباء؟

– أعتقد أنهم كانوا يعرفون بعضهم البعض.. وأعتقد أن البنات كن في نفس المدرسة.. وكانت هناك سيدتان جاءتا للمعاونة في إعداد الطعام وتقديم العشاء، وعندما انتهى الحفل انصرفت الأمهات مع بناتهن، وبقيت أنا و "جوديث" واثنتان أخريان لمساعدة "روينا دريك" – صاحبة الحفلة – في تنظيف المكان حتى نخفف العبء عن الخادمة التي تحضر في الصباح.. كنسنا الأرض ثم ذهبنا إلى المكتبة حيث عثرنا على الفتاة، وعندئذ تذكرت ما قالته الفتاة قبل بداية الحفل.

– ما الذي قالته أي فتاة؟

– "جويس".

– ماذا قالت؟ هل أفهم من هذا أننا سنصل إلى السبب الذي دفعك إلى القدوم إليّ؟

– نعم.. فكرت في أن ذلك قد لا يعني شيئاً بالنسبة إلى الطبيب أو مفتش الشرطة أو أي إنسان، ولكنه قد يعني أشياء بالنسبة إليك. قال "بوارو" باهتمام:

– حسن جداً.. هل كان ذلك شيئاً قالته "جويس" في أثناء الحفل؟

– كلا.. بل في وقت مبكر.. بعد الظهر عندما كنا نستعد للحفل.. عندما دار الحديث عن الروايات البوليسية التي أكتبها وقالت "جويس": لقد شاهدت جريمة ذات يوم.. وقالت أمها أو سيدة أخرى لها: إنك تتخيلين الأشياء..

وعادت "جويس" تقول بإصرار إنها رأت جريمة بالفعل، ولكن الجميع رفض تصديقها وقوبلت من الجميع بالسخرية مما أثار غضبها.

– وهل كنت تصدقين ما تقوله؟

– كلا، بالتأكيد. سكت "بوارو" برهة وهو يفكر بعمق ثم قال:

– ألم تذكر أي تفاصيل أو أسماء؟

– كلا.. كانت غاضبة؛ لأن الفتيات ضحكن بينما كانت الأمهات ينظرن إليها

بامتعاض.. وعندما سألتها إحداهن لماذا لم تحدثينا عن تلك الجريمة من قبل؟ قالت: نسيت كل شيء؛ لأن ذلك حدث منذ وقت طويل.

– هل حددت مدى طول هذا الوقت؟

– قالت منذ سنوات بعيدة.. وعندما سألتها فتاة تدعى "آن" أو "بياتريس": لماذا لم تبلغ الشرطة؟ أجابت بقولها إنها لم تدرك في ذلك الوقت أنها جريمة.

اعتدل "بوارو" في مقعده وهو يقول:

– هذه ملاحظة مثيرة..

– ظلوا يكررون السؤال: لماذا لم تخبري الشرطة؟ وهي تقول إنها لم تدرك وقتها أن في الأمر جريمة، حتى أدركت مؤخراً أن ما وقع عليه بصرها كان جريمة حقيقية.

– لم يصدقها أحد وأنت كذلك.. ولكنك فكرت عندما عثرت عليها ميتة أنها ربما كانت تقول الصدق؟

– نعم.. وعندئذ فكرت في الالتجاء إليك. أحنى "بوارو" رأسه وظل صامتاً بعض الوقت ثم رفع رأسه قائلاً:

– سوف أوجه إليك سؤالاً جاداً وأرجو أن تفكري طويلاً قبل الإجابة عنه: هل تعتقدين حقاً أن تلك الفتاة رأت جريمة أم تعتقدين أنها تخيلت أن ما رأته كان جريمة؟

– فكرت في البداية أنها رأت شيئاً منذ فترة طويلة، وأن حادثاً معيناً جعلها تفكر في أنها رأت جريمة بالفعل،و لهذا جئت أعرض الأمر عليك؛ لأنني بدأت أومن بعد مصرعها أنها كانت شاهدة على وقوع جريمة.

– معنى هذا أن واحداً من المدعوين إلى الحفلة كان مرتكب الجريمة وأن نفس الشخص كان موجوداً في وقت مبكر وسمع ما قالته "جويس". قالت السيدة "أوليفر" باضطراب:

– هل تعتقد أن ما حدث كان من نسج خيالي؟

– كلا.. فقد قتلت فتاة.. قتلها شخص قوي بأن ضغط على رأسها حتى أغرقها.. جريمة قذرة ارتكبها شخص لم يشأ أن يضيع الوقت.. شخص كان

يشعر بالخطر الذي يتهدده، ومن ثم أقدم على ارتكاب الجريمة حالما سنحت له الفرصة.

– لم تكن "**جويس**" تعرف القاتل وإلا لما ذكرت القصة في حضوره.

– أعتقد أنك محقة في هذا.. لقد رأت جريمة ولكنها لم تر وجه القاتل..

– لست أفهم تمامًا وجهة نظرك...

– قد يكون ذلك الشخص الذي سمع الاتهام يعرف شيئًا عن الجريمة أو يعرف مرتكبها وهو على صلة وثيقة بالقاتل، وقد يكون هذا الشخص على علم بأن زوجته هي القاتلة، أو لعلها تكون امرأة تعرف ما ارتكبه زوجها أو أمها أو ابنتها أو ابنها.. شخص لم يكن يعرف أن إنسانًا آخر يعلم بهذا السر، وعندئذ بدأت "**جويس**" تتكلم وكان لابد من قتلها..

– نعم.. وماذا ستفعل؟

– لقد تذكرت الآن لماذا كان اسم "**وودلي كومون**" مألوفًا لدي..

- 3 -

توقف "**هركيول بوارو**" أمام بوابة البيت الحديث وهو يتأمل العجوز المشغول داخل الحديقة باقتلاع الأعشاب الضارة، وعندما تنبه إليه العجوز تقدم نحو البوابة قائلاً بدهشة:

– فليرحمني الله. هذا مستحيل، ولكنه يحدث أن التقي بـ"**هركيول بوارو**" مرة أخرى! ما الذي أتى بك إلى هذا المكان؟

– ما يأتي بي إلى أي مكان في أي وقت، وما حملني على الذهاب إليك ذات يوم.. الجريمة. قال مفتش الشرطة المتقاعد "**سبنس**":

– لقد انتهت صلتي بالجريمة، ولكن كيف عرفت مكاني؟

– من بطاقة معايدة أرسلتها إليّ تحمل عنوانك الجديد.

– آه حقًا! تعودت أن أرسل بطاقة معايدة في عيد الميلاد لبعض الأصدقاء

القدامى.. لقد أصبحت كما تراني رجلاً عجوزًا..

– كلانا قد أصبح عجوزًا.. لماذا اخترت الإقامة في "**وودلي كومون**"؟

– جئت في الواقع لأعيش مع أخت لي فقدت زوجها، وتزوج أبناؤها وسافروا إلى الخارج. هل تتفضل بالدخول لنجلس ونتبادل الحديث؟

قاده إلى الشرفة حيث توجد منضدة وبعض المقاعد، ثم أعد قدحين كبيرين من العصير وقال:

– ما الذي كنت تقوله الآن؟ لا توجد جريمة هنا.. ولست أحب تلك الجريمة التي وقعت للطفلة التي أغرقت في الإناء المملوء بالماء. هز "**بوارو**" رأسه قائلاً:

– هذه هي الجريمة التي أعنيها. وقال "**سبنس**":

– لا أدري سبب مجيئك إليّ.. فليس لي شأن بالشرطة الآن.. انتهت علاقتي بهم منذ سنوات.

– ولكن تبقى لك وجهة نظر الشرطي التي تختلف عن وجهة نظر الإنسان العادي.. وبحكم وجودك في هذا المكان فأنت تسمع القيل والقال ولك أصدقاء في الشرطة، ولابد من أنك تسمع ما يفكرون فيه، أو من يشتبهون فيه، أو ما يعلمونه. هز "**سبنس**" رأسه ثم قال:

– في اعتقادي أن رجال الشرطة يعرفون الشيء الكثير عن الجريمة. وربما كانوا يعرفون القاتل. ولكن هذا وحده لا يكفي؛ لأن مصاعب كثيرة تواجههم.

– هل تعني الزوجات والفتاة وأصدقاءها؟

– إلى حد ما.. على أي حال ما دخلك في هذه القضية وأنت غريب عن المكان؟

– لا أزال أعيش في "**لندن**"، وقد جئت بناء على رغبة واحدة من صديقاتي.. لعلك تذكر السيدة "**أوليفر**".. فكر "**سبنس**" قليلاً ثم قال:

– السيدة "**أوليفر**".. لا أظن أنني أذكر هذا الاسم.

– إنها تكتب الروايات البوليسية، وقد التقيت بها في أثناء التحقيق في مصرع السيدة "**ماك جنتي**".. هل نسيت قضية السيدة "**ماك جنتي**"؟

– يا إلهي! كلا بالتأكيد.. كان ذلك منذ زمن طويل يا "بوارو".. وقد قصدتك التمس منك المساعدة ولم تتخل عني.

– كان لي شرف إسداء النصح.. قال "سبنس" فجأة:

– السيدة "أوليفر".. "أريادن أوليفر".. التفاح.. أكان هذا هو سبب ارتباطها بالموضوع؟ ألم تلق الفتاة حتفها وهي تدس رأسها في الإناء المملوء بالماء لاصطياد التفاح في الحفلة؟ أكان ذلك سبب اهتمام السيدة "أوليفر"؟

– لا أظن أن التفاح هو الذي استرعى انتباهها.. فقد كانت مدعوة إلى الحفل.

– هل تقيم في المكان؟

– كلا، وإنما جاءت لتقيم مع صديقة لها تدعى السيدة "بتلر"..

– "بتلر"؟ نعم.. أعرفها.. لا تسكن بعيداً عن الكنيسة. كان زوجها طياراً مدنياً ولها ابنة لطيفة.. السيدة "بتلر" نفسها سيدة جذابة.. ألا تراها كذلك؟

– التقيت بها لقاء عابراً وأعتقد أنها جذابة.

– وما وجه اهتمامك بالقضية يا "بوارو"؟ هل كنت موجوداً في وقت ارتكاب الجريمة؟

– كلا، ولكن السيدة "أوليفر" جاءتني في "لندن" وهي منزعجة للغاية، وطلبت مني أن أفعل شيئاً.

– وجئتني بدورك؛ لأفعل لك شيئاً.

– نعم.. تستطيع أن تزودني بمعلومات عن الناس هنا.. كيف يعيشون، وعن الأشخاص الذين حضروا الحفل.. الآباء والأمهات والأطفال.. المدرسة.. المدرسون.. المحامون.. الأطباء. هل أقنع أحد الحاضرين الطفلة بإحناء رأسها بحثاً عن التفاح في الماء ثم أخذ يضغط على رأسها حتى أغرقها؟.. لا أظن أنها أبدت مقاومة أو أصدرت صوتاً.. قال "سبنس" باستياء:

– عملية قذرة.. ما الذي تريد أن تعرفه؟ قضيت عاماً في هذا المكان ولكن أختي عاشت هنا فترة أطول.. سنتين أو ثلاث سنوات.. المجتمع هنا ليس

كبيراً؛ كما أن الناس لا يستقرون في المكان. فهم يجيئون ويذهبون.. فالزوج إما أن يعمل في شركة المعلبات أو في مكان آخر، ويذهب الأطفال إلى المدرسة حتى إذا غير الزوج عمله انتقلوا إلى مكان آخر. ليس هذا مجتمعاً مستقراً.. بعض الناس هنا يقيم منذ زمن طويل مثل الآنسة "إيميلين" المدرسة.. والدكتور "فيرجسون"..

– حيث إنك تصف الجريمة بالعملية القذرة فلا شك في أنك تعرف الأشخاص الأشرار هنا.

– نعم.. هذا أول ما يفكر فيه الإنسان.. ثم يفكر بعد ذلك في أحد المراهقين الأشرار.. من الذي يريد أن يخنق فتاة في الثالثة عشرة من عمرها؟ لاتبدو هناك أدلة على الاغتصاب.. ولكن المجتمع يضم الكثيرين ممن يذهبون إلى المصحات العقلية ثم يرى الأطباء إعادتهم إلى بيوتهم؛ ليعيشوا حياة عادية. وبعد ذلك تقع الحوادث المؤسفة. والفتيات لا يعدن إلى البيوت بعد انتهاء الدراسة مباشرة مما يعرضهن للاعتداء..

– هل ينطبق ما تقوله على هذا المجتمع الصغير؟

– حسن.. هذا أول ما يتجه إليه التفكير.. كان في الحفل شخص يريد أن يتخلص من الفتاة بأسرع وقت.. شخص ربما يكون قد ارتكب جريمة مماثلة من قبل.. وبالنسبة إلى المراهقين الذين حضروا الحفل نجد شابين أحدهما "نيكولاس رانوم".. في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة ولكنني أعتقد أنه شاب لطيف ولكن من يدري؟ والثاني "ديزموند"، وقد أحيل ذات مرة إلى الطبيب النفسي، ولكن تقرير الطبيب لم يتضمن شيئاً خطيراً.. ولكن القاتل لابد من أن يكون واحداً من المدعوين إلى الحفل، على الرغم من أنه من المحتمل أن يتسلل غريب إلى المنزل في مثل هذه الظروف.. فهناك باب جانبي مفتوح ونافذة جانبية.. ولكنها مخاطرة كبيرة.. هل تقبل الفتاة أن تلعب لعبة البحث عن التفاح في الماء مع إنسان غريب؟ ولكنك لم تقل بعد يا "بوارو" السبب الذي جعلك تتدخل في القضية.

– السبب ما قالته لي السيدة "**أوليفر**" عما سمعته من الفتاة .

– من "**جويس**"؟!

– نعم..

قص "**بوارو**" عليه القصة كما سمعها من السيدة "**أوليفر**"، فقال "**سبنس**" باهتمام:

– أقالت الفتاة إنها رأت جريمة؟! ألم تقل أين؟ ومتى؟ هز "**بوارو**" رأسه نفيًا، وسأل "**سبنس**" :

– ما المقدمات التي أثيرت عن الجرائم التي تكتبها السيدة "**أوليفر**"..؟ وتدخلت "**جويس**" في الحديث قائلة إنها رأت جريمة..

– تعني أن السيدة "**أوليفر**" كانت تعتقد أن الفتاة تبالغ؟

– نعم.. هذا ما ظنته السيدة "**أوليفر**".. فالأطفال في سنها يبالغون جذبا للأنظار.

– ولكن من الناحية الأخرى قد يكون ما قالته "**جويس**" صحيحًا.. أليس هذا ما تفكر فيه؟ قال "**بوارو**" :

– لا أدري.. طفلة تقول إنها رأت جريمة ثم تلقى حتفها بعد ساعات قلائل.. معنى هذا أن إنسانًا رأى أن يتصرف بسرعة.

– بالتأكيد.. كم كان عدد الأشخاص الموجودين عندما تحدثت الفتاة عن الجريمة التي رأتها؟ هل تعرف على وجه التحديد؟

– كل ما قالته السيدة "**أوليفر**" إن العدد كان خمسة عشر فردًا أو ربما أكثر.. خمسة أطفال أو ستة، وخمسة أو ستة من الكبار المشغولين بالإعداد للحفل.. ولكن بالنسبة إلى المعلومات المحققة فأنا أعتمد عليك.

– سوف يكون أمرًا ميسورًا يمكن الحصول عليه من الأشخاص المحليين.. كانت أغلبية الحاضرين من النساء.. فالآباء غالبًا لا يحضرون مثل هذه الحفلات ولكنهم يجيئون أحيانًا ليعودوا بأطفالهم إلى البيوت.. كان دكتور "**فيرجسون**" موجودًا، وكذلك راعي الكنيسة.. وأستطيع أن أزودك بقائمة السيدات الآن.. أما الأطفال

فعددهم حوالي الأربعة عشر أصغرهم فتاة في العاشرة. قال "**بوارو**" :

– وأعتقد أنك تعرف الشخصيات التي يحتمل أن يكون القاتل من بينها؟

– حسن.. لن يكون ذلك سهلاً الآن لو أن ما تفكر فيه كان صحيحًا.

– تعني أنك لم تعد تفكر في شخص مصاب باضطرابات جنسية وأنك بدلاً من ذلك تبحث عن شخص ارتكب جريمة في الماضي ولم تكتشف.. شخص لم يكن ليتصور أن الجريمة ستكتشف ذات يوم، مما سبب له صدمة عنيفة؟

قال "**سبنس**" بحيرة :

– لا أعتقد بوجود أشخاص يحتمل أن يكونوا مجرمين. ولكن السؤال الذي أرغب في معرفة الإجابة عنه هو: لماذا لم تقل "**جويس**" شيئًا من قبل عن تلك الجريمة؟ هل تلقت رشوة من أحدهم لتلتزم الصمت؟ ولكن هذه مخاطرة غير مأمونة العواقب. قال "**بوارو**" :

– أستخلص مما قالته السيدة "**أوليفر**" أن الفتاة لم تدرك وقتها أن ما رأته كان جريمة حقيقية. قال "سبنس" بلهجة التأكيد :

– أوه.. هذا أمر مستبعد!

– ليس بالضرورة.. فالمتحدث طفلة في الثالثة عشرة.. وكانت تتذكر شيئًا رأته في الماضي.. ربما منذ ثلاث سنوات أو أربع.. رأت شيئًا لم تفهم معناه في ذلك الوقت.. شيئًا كوقوع حادث سيارة.. سيارة كانت تتجه رأسًا نحو شخص أصابته وربما قتلته.. ربما لم تفطن الطفلة وقتها إلى أن الحادث متعمد، وربما تكون الطفلة قد شاهدت بعد ذلك أو سمعت ما جعلها تتذكر الحادث وتراه على صورته الحقيقية.. هناك احتمالات أخرى كثيرة أعترف أنها مقترحة من جانب صديقتي السيدة "**أوليفر**" التي تستطيع أن تقترح عشرة حلول للمشكلة الواحدة بعضها مستحيل والبعض الآخر محتمل.. إضافة أقراص إلى الشاي مثلاً..

– وهل جئت لتناقشني في هذه الاحتمالات؟

– ربما كان ذلك للصالح العام. وأنت تستطيع على الأقل أن تزودني بالمعلومات،

لأنك تعرف الناس هنا.

– سوف أفعل كل ما أستطيع، وسوف أشرك معي صاحبة البيت التي تعرف الكثير مما لا أعرفه.

- 4 -

ترك "بوارو" صديقه راضيًا عما أنجزه، واثقًا بأنه سوف يحصل على المعلومات التي طلبها، فقد نجح في إثارة اهتمام "سبنس".. نظر "بوارو" إلى ساعته، فقد كان على موعد مع السيدة "أوليفر" بعد عشر دقائق خارج البيت الذي يسمى "آبل تريز".. سلك الطريق الذي وصفته السيدة "أوليفر" ووجد نفسه أمام مبنى من الطوب الأحمر يحيط به سور، ورأى من خلال السور حديقة جميلة، ودخل من البوابة الخارجية قاصدًا المبنى، حيث كانت السيدة "أوليفر" في انتظاره. وقالت:

– أنت بالغ الدقة في مواعيدك.. كنت أتطلع إليك من وراء النافذة.

ألقى "بوارو" نظرة على المكان وهو في دهشة أن تقع جريمة بل مأساة في مثل ذلك المكان الهادئ، وقالت السيدة "أوليفر":

– لا أدري لماذا لا تأتي للإقامة مع "جوديث بتلر" بدلاً من سكنى الفنادق.

– لأنه من الأفضل لي أن أرى الأمور عن بعد.. لا ينبغي أن ينغمس الإنسان في الأمور، هل فهمت ما أقصده؟

– لا أدري كيف تتورط في الأمر. يجب أن ترى الجميع وتتحدث معهم.. أليس كذلك؟ قال "بوارو":

– هذا ما سوف أفعله بالتأكيد.

– بمن التقيت حتى الآن؟

– صديقي المفتش "سبنس".

– كيف يبدو الآن؟ هل ابيضَّ شعره؟ هل أصيب بالصمم أو العمى؟

– كل ما حدث أنه تقدم في العمر بعض الشيء وابيضَّ سالفتاه ولكنه يسمع جيداً ويرتدي نظارة طبية للقراءة.

–وما رأيه في الجريمة؟

– أنت تتعجلين سير الأمور.

– وماذا تنوي أن تفعله ويفعله "سبنس"؟

– وضعت خطتي.. أولاً.. ذهبت لاستشارة صديقي وطلبت إليه أن يحصل لي على بعض المعلومات التي يصعب الحصول عليها دون معاونته.

– ثم بعد ذلك؟

– جئت لمقابلتك يا سيدتي.. لابد لي من أن أعاين مكان الجريمة. أدارت السيدة "أوليفر" رأسها نحو المبنى قائلة:

– هل يبدو عليه أنه بيت وقعت فيه جريمة؟

– كلا.. بعد معاينة المكان سوف أتوجه لمقابلة أم الفتاة.. وسوف يحدد لي "سبنس" بعد ظهر اليوم موعداً مع مفتش الشرطة المحلية.. وأريد أن ألتقي بالطبيب وربما ناظر المدرسة. ثم في السادسة تمامًا أشرب الشاي وأتناول شطائر السجق مع صديقي المفتش "سبنس" وأخته لنعاود الحديث في الموضوع.

– أي شيء جديد تنتظر أن يقوله لك؟

– أريد الالتقاء بأخته التي عاشت هنا قبله بعض الوقت.. لقد جاء ليقيمَ معها بعد وفاة زوجها، ولاشك في أنها تعرف الناس هنا معرفة جيدة. قالت السيدة "أوليفر" ضاحكة:

– هل تعرف كيف تبدو؟ مثل الكمبيوتر.. تبرمج نفسك. أليس هذا هو التعبير الذي يستخدمونه؟ أعني أنك تغذي نفسك طوال اليوم بكل هذه المعلومات ثم ترى النتائج التي تحصل عليها. قال "بوارو" بشيء من الاهتمام:

– نعم.. نعم.. أنا ألعب دور الكمبيوتر.. أغذي نفسي بالبيانات.

– لنفترض أنك حصلت على إجابات خاطئة.

– هذا مستحيل.. فالكمبيوتر لا يرتكب مثل هذا الخطإ.

– هذا هو المفروض، ولكنك سوف تدهش عندما ترى ما يصدر عن الكمبيوتر في بعض الأحيان.. هيا بنا لنلتقي بالسيدة "**دريك**".

كانت السيدة "**دريك**" سيدة طويلة أنيقة في الأربعين من عمرها، عيناها زرقاوان صافيتان فيهما بريق ينم عن الذكاء. نشيطة، يبدو من أول نظرة أنها تعرف طريق النجاح في أي عمل تباشره، وقدمت لـ"**بوارو**" القهوة وبعض قطع البسكويت في غرفة الاستقبال.. جال "**بوارو**" ببصره في الغرفة وراعته فخامة الأثاث وحسن الذوق والألوان. وأدرك "**بوارو**" من نظرات السيدة "**دريك**" أنها تحاول إخفاء قلقها الناتج عما حدث في بيتها، فهي كعضو بارز في مجتمع "**وودلي كومون**" تحس بالأسى؛ لأن جريمة وقعت في بيتها، وفي حفل خاص بالأطفال تحت إشرافها، ووفقًا للبرنامج الذي أعدته، وقالت السيدة "**دريك**" بعد فترة صمت طويلة:

– سيد "**بوارو**".. أنا سعيدة بمجيئك، وقد أخبرتني السيدة "**أوليفر**" عن العون الذي تستطيع أن تقدمه في مثل هذه الأزمات. وقال "**بوارو**" بهدوء:

– اطمئني يا سيدتي.. سوف أفعل كل ما أستطيع، ولكن المهمة صعبة للغاية.

– هي صعبة ولا شك.. إن ما حدث مستحيل.. مستحيل تمامًا.. أعتقد أن رجال الشرطة يعرفون شيئًا.. المفتش "رجلان" شرطي ممتاز، ولا أدري ما إذا كانوا سيستعينون برجال "**اسكتلانديارد**".. أعتقد أن لموت الفتاة مغزى محليًا.

لا أحتاج إلى أن أخبرك يا سيد "**بوارو**"، وأنت ولاشك تتابع ما ينشر في الصحف، إن حوادث كثيرة مماثلة حدثت للفتيات في مختلف أنحاء البلاد وحالات الخلل العقلي في ازدياد مستمر، والأمهات لم يعدن يولين فتياتهن الرعاية الكافية، والبنات على الرغم مما يسمعنه من التحذيرات يلبين دعوات أصحاب السيارات الفاخرة عندما يعرضون عليهن الركوب.

– ولكن ما حدث هنا يا سيدتي شيء آخر تمامًا.

– أوه! بالتأكيد.. لهذا قلت إن ما حدث مستحيل.. أمر غير قابل للتصديق

كان كل شيء منظمًا وتحت السيطرة الكاملة.. لهذا فمن رأيي الشخصي أن القاتل جاء من الخارج.. إنسان مختل عقليًا.. إنهم يخرجون المجانين من المستشفيات بحجة ضيق الأماكن؛ ولهذا أرى ضرورة تدبير الأماكن الكافية لكل المختلين عقليًا.

طلب "**بوارو**" من ربة البيت أن تطلعه على المكان الذي وقعت فيه الجريمة. وقفت السيدة "**دريك**" وهي تقول:

– يعتقد رجال الشرطة أن الجريمة وقعت في الفترة التي كانت تقدم فيها مسابقة أكل العنب المحمي فوق النار.. كانت المسابقة تُجرى في غرفة المائدة، اجتازت السيدة "**دريك**" الصالة وفتحت بابًا وهي تشير إلى مائدة الطعام الكبيرة والستائر المخملية وقالت:

– كانت الغرفة غارقة في الظلام بالتأكيد، فيما عدا الوهج الصادر من النار..

والآن قادت "**بوارو**" والسيدة "**أوليفر**" إلى الردهة وفتحت باب غرفة صغيرة فيها بعض المقاعد ورفوف الكتب وهي تقول بصوت مرتجف بعض الشيء:

– المكتبة.. كان الإناء موضوعًا هنا ومن تحته غطاء من البلاستيك.

ظلت السيدة "**أوليفر**" واقفة أمام الباب ولم تصحبهما إلى داخل الغرفة قائلة لـ"**بوارو**":

– لا أستطيع الدخول.. هذا يذكرني بالمنظر الفظيع. قالت لها السيدة "**دريك**":

– لم يعد هنا شيء يمكن أن تراه.. أعني أنني أطلعك ـ بناء على رغبتك ـ على المكان. قال "**بوارو**" بأسلوبه الهادئ:

– أعتقد أنه كان هنا قدر كبير من الماء..

– كان الإناء مملوءًا بالماء بالتأكيد. سكتت السيدة "**دريك**" برهة وهي تنظر إلى "**بوارو**"، ثم أردفت تقول:

– كان الإناء موضوعًا في هذا المكان.. قال "**بوارو**":

– وكذلك كان هناك بعض الماء فوق الغطاء.. أعني لو أن أحدهم ظل يضغط على رأس الفتاة فلابد أن قدرًا كبيرًا من الماء قد انسكب من الإناء.

– أوه نعم.. حتى في أثناء إجراء المسابقة كان لابد من ملء الإناء مرة أو مرتين!

– معنى هذا أن مرتكب الجريمة لابد من أن يكون قد أصيب بالبلل.. أليس كذلك؟

– أوه! بلى.. أعتقد ذلك.

– ألم يلاحظ أحدهم ذلك؟

– نعم.. سألني المفتش عن ذلك.. أنت تعرف أن الجميع كانوا في نهاية الحفلة مبللين بالماء وثيابهم ملوثة بالدقيق.. لهذا لم يركز رجال الشرطة على هذه النقطة.

– أعتقد أن مفتاح القضية يكمن في شخصية الفتاة نفسها.. أرجو أن تخبريني بمعلوماتك عن الفتاة.

– تعني "جويس"؟ ارتعدت السيدة "دريك" قليلاً وهي تذكر الاسم بعد أن أصبح من الذكريات التي حاولت التخلص منها، وقال "بوارو":

– الضحية تكون مهمة على الدوام.. وغالبًا ما تكون الضحية سبب ارتكاب الجريمة.

– حسن.. أعتقد ذلك.. هل نعود الآن إلى قاعة الاستقبال؟ قالت السيدة "دريك" بارتياب:

– نعم.. وعندئذ تحدثيني عن "جويس". ثم قالت:

– كان عدم الارتياح يبدو واضحًا على وجه السيدة "دريك".

– لا أدري في الواقع يا سيد "بوارو" ما تتوقع مني أن أقوله.. تستطيع أن تحصل على كل المعلومات التي تريدها من أم الفتاة.. تلك المرأة التعسة، فسوف يكون الموقف مؤلمًا لها ولا شك. قال "بوارو" بإصرار:

– ولكن الأم التي فقدت ابنتها لا تستطيع أن تقدم لي المعلومات التي أريدها.. إنني أريد رأيًا غير متحيز من شخص لديه قدر كبير من المعرفة بالطبيعة البشرية، وحيث إنك عضو نشط في المجتمع وتساهمين في الكثير من الأعمال الخيرية والحفل الاجتماعي، فلا أحد غيرك يستطيع أن يزودني بالمعلومات التي أريدها.

– حسن.. ربما كان ذلك من الصعب.. أعني بالنسبة إلى طفلة في الثالثة عشرة.. الأطفال يتشابهون في مثل هذه السن.

– كلا يا سيدتي.. توجد اختلافات كبيرة في الشخصية والوضع.. هل كنت تحبينها؟ وجدت السيدة "دريك" السؤال محيرًا، وقالت بعد برهة:

– كنت أحبها بالتأكيد.. أعني- أحب كل الأطفال- معظم الناس كذلك.

– هنا أختلف معك.. فبعض الأطفال يعتبرون غير جذابين.

– نعم.. أتفق معك على هذا، فالأطفال لا ينشؤون إذن التنشئة اللائقة.. الأهل يتركون كل شيء للمدرسة، والأطفال يبيحون لأنفسهم الشيء الكثير. قال "بوارو" بإصرار:

– هل كانت طفلة لطيفة أم غير لطيفة؟ أطالت السيدة "دريك" النظر إلى "بوارو" ثم قالت:

– لا تنس يا سيد "بوارو" أن الفتاة المسكينة ميتة الآن!

– حية أو ميتة لا أهمية لذلك. لو أنها كانت لطيفة لما فكر أحد في قتلها. ولأنها كانت غير لطيفة فإن شخصًا ما فكر في قتلها وقد فعل.

– أوه.. حسن.. أعتقد أن الموضوع لا يتصل باللطف أو عدم اللطف!

– قد يكون.. وقد فهمت أن الفتاة ادعت أنها شاهدت جريمة قتل ترتكب. قالت السيدة "دريك" باحتقار:

– تعني تلك القصة؟ هل أخذت كلامها على محمل الجد؟

– كلا بالتأكيد.. كانت القصة التي تقولها سخيفة

– ما الظروف التي جعلتها تقول ذلك الكلام؟

نظرت السيدة "دريك" إلى السيدة "أوليفر" وهي تقول:

– كانت الفتيات منفعلات لوجود السيدة "أوليفر" في الحفل فهي شخصية مشهورة.. ولا أظن أن مثل هذا الموضوع كان يمكن أن يثار لولا وجود السيدة "أوليفر".

– لهذا قالت "جويس" إنها شاهدت جريمة...

– نعم.. قالت شيئاً كهذا.. لم أكن أصغي إليها بانتباه.

– ولكنك تذكرين أنها قالت ذلك؟

– أوه! نعم.. ولكنني لم أصدقها.. وقد نهرتها أختها.

– وأدى ذلك إلى غضبها، أليس كذلك؟

– بلى.. ولكنها عادت تؤكد أن ما قالته صحيح.

– كانت تبالغ بعض الشيء؟

– نعم.. إذا كان هذا ما تعنيه.

– أليس من المحتمل أن يكون ما قالته صحيحاً؟

– كلام فارغ! أنا لم أصدقها بالمرة.. وكانت "جويس" معتادة على قول مثل هذه السخافات.

– هل كانت فتاة غبية؟

– إلى حد ما.. كانت ذات ميول استعراضية.. كانت تريد أن تظهر للآخرين أنها رأت أكثر مما رأوا، وأنها فعلت أكثر مما يفعلون.

– لا أظن أن هذه شخصية محبوبة.

– كلا بالتأكيد..

– ماذا كان تعليق الفتيات الموجودات على ما سمعنه؟

– ضحكن منها.. لهذا ازدادت حدة غضبها. قال "بوارو" وهو ينهض:

– حسن.. أنا سعيد لسماع رأيك في هذه النقطة.. انحنى "بوارو" بأدب وقبّل يدها قائلاً:

– إلى الملتقى يا سيدتي.. وشكراً جزيلاً على معاونتك القيمة.. وأرجو ألا أكون قد أعدت إلى ذاكرتك بعض الذكريات الأليمة. قالت السيدة "دريك" وهي تبتسم ابتسامة شاحبة:

– من المؤلم أن يتذكر الإنسان مثل هذه الأشياء.. فقد كنت أرجو أن ينتهي الحفل على خير وأن يشعر الجميع بالسعادة لولا الحادث المؤسف الذي وقع.. على أي حال أفضل شيء نستطيع أن نفعله هو أن ننسى الموضوع.. ومن

المؤسف أن تلك الفتاة التعسة قالت تلك الكلمات السخيفة عن مشاهدتها لجريمة ترتكب.

– ألم تسمعي قط عن وقوع جريمة سابقة في "وودلي كومون"؟ قالت السيدة "دريك" بحزم:

– لا أذكر شيئاً من هذا القبيل. قال "بوارو" وهو يطيل النظر إلى وجهها:

– ألا يبدو ذلك أمراً شاذاً في عصر تزايد فيه معدل ارتكاب الجريمة؟

– حسن.. أذكر أن سائق لوري قتل شخصاً– شيء من هذا القبيل– وفتاة صغيرة وجدوها مدفونة في حفرة تبعد عن هنا أربعة وعشرين كيلو متراً.. ولكن حدث ذلك منذ سنوات طويلة.. ولم يكن الحادثان من الجرائم المثيرة.. أعتقد أن الخمر كانت السبب في وقوعهما.

– وهذا طراز من الجريمة ليس من المحتمل أن تشاهده فتاة في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة.

– نعم.. وأستطيع أن أؤكد لك يا سيد "بوارو" أن الفتاة قالت ما قالته لمجرد التأثير في بقية الفتيات وإقناعهن بأهميتها.

أدارت السيدة "دريك" بصرها نحو السيدة "أوليفر" التي قالت:

– أعتقد أن الغلطة كانت غلطتي عندما فكرت في حضور الحفل. قالت السيدة "دريك" معتذرة:

– أوه يا عزيزتي.. لم أقصد هذا المعنى!

تنهد "بوارو" وانسحب مع السيدة "أوليفر"، وقالا وهما يشقان طريقهما نحو البوابة الخارجية:

– ليس هذا بالمكان المناسب لارتكاب الجريمة.. فيما عدا شعور ينتابني بأن أحدهم قد يشعر بالميل لقتل السيدة "دريك".

– إنني أفهم ما تعنيه، فهي أحياناً تستطيع أن تثير من تتحدث معه. وأحياناً تجدها راضية عن نفسها وشديدة السرور.

– كيف شكل زوجها؟

– أوه! إنها أرملة.. مات زوجها منذ عام أو عامين.. أصيب بالكساح وظل مقعداً بضع سنوات.. كان من رجال البنوك على ما أعتقد، وكان مولعاً أشد الولع بالألعاب والرياضة. وحز في نفسه أن يتخلى عن كل ذلك وهو مُقعد تماماً. هز "بوارو" رأسه وقال:

– نعم حقاً.. أريد أن أعرف ردك على هذا السؤال.. هل أخذ أحد الحاضرين كلام "جويس" على محمل الجد؟

– لا أدري.. ولكنني لا أعتقد ذلك..

– بقية الأطفال على سبيل المثال؟

– حسناً.. لا أظن أنهم كانوا يصدقون ما قالته "جويس".. كانوا يتصورون أنها تتخيل الأشياء.

– وهل كان ذلك رأيك أنت أيضاً؟

– حسن.. نعم.. كانت السيدة "دريك" تريد أن يقتنع الجميع بأن شيئاً مما تقوله "جويس" قد حدث.

– ربما كان الأمر مؤلماً بالنسبة إليها.

– إلى حد ما.. وإن كنت أراها الآن في الواقع شديدة الابتهاج وهي تتحدث عن الموضوع.

– هل تحبينها؟ هل تعتقدين أنها سيدة لطيفة؟

– أنت تسأل أصعب الأسئلة وأكثرها بعثاً على الحيرة يا "بوارو".. يبدو لي أن كل ما يثير اهتمامك هو: هل الشخص لطيف أو غير لطيف؟ "روينا دريك" من ذلك الطراز الذي يحب الرئاسة والسيطرة على الناس، وهي التي تدير هذا المجتمع وهي تفعل ذلك بنجاح.. والأمر يتوقف على رأيك في النساء المولعات بالقيادة.. أنا شخصياً لا أميل إليهن.

– وما رأيك في أم "جويس" التي ستذهب لمقابلتها الآن؟

– إنها سيدة لطيفة للغاية.. ربما تكون غبية بعض الشيء.. وأنا آسفة من أجلها، فهو أمر فظيع أن ترى الأم ابنتها مقتولة.. والجميع هنا يعتقدون أنها جريمة جنسية

مما يزيد الأمر سوءاً.

– ولكن لا توجد أي مظاهر تدل على وقوع اغتصاب جنسي.

– كلا.. ولكن الناس يحبون أن يحدث شيء كهذا؛ لأنه يكون أكثر إثارة.. أليس من الأفضل أن تصحبك صديقتي "جوديث بتلر" إلى السيدة "رينولدز" فهي تعرفها خير المعرفة بينما أنا أعتبر غريبة بالنسبة إليها؟

– سوف تسير وفقاً للخطة التي وضعناها. تمتمت السيدة "أوليفر" قائلة:

– برنامج الكمبيوتر سوف يستمر.

- 5 -

كانت السيدة "رينولدز" على النقيض تماماً من السيدة "دريك"، وكانت ترتدي ملابس الحداد وتمسك في يدها منديلاً مبللاً والدموع في عينيها على استعداد للانطلاق في أي لحظة، وقالت بصوت متهدج:

– كان كرماً منك يا سيدة "أوليفر" أن تحضري صديقاً لك لمساعدتنا.. على الرغم من أنني لا أدري كيف يمكن أن يساعد في مثل هذه الظروف.. فلن يعيد شيء إلينا ابنتنا المسكينة.. ولا أتصور كيف يقدم إنسان على قتل هذه المخلوقة البريئة. إنني لا أحتمل مجرد التفكير في الأمر. قال "بوارو" بلهجة رقيقة:

– إنني في أشد حالات الأسى من أجلك يا سيدتي.. وقد جئت لأطرح عليك بعض الأسئلة التي قد تساعد في معرفة قاتل ابنتك.. هل لديك أدنى فكرة عن الجاني؟

– ومن أين لي أن أعرف؟ لا أستطيع أن أتصور أن واحداً من سكان هذه المنطقة يقدم على عمل كهذا.. هذا مكان لطيف، وأعتقد أن الجاني رجل فظيع من الخارج، تسلل من خلال النوافذ المفتوحة.. ربما يكون قد تناول بعض المخدرات وعندما رأى الأنوار المضاءة في الداخل اقتحم المكان.

– هل أنت واثقة بأن القاتل رجل؟

– أوه! لابد أن يكون رجلاً.. أنا واثقة بذلك.. لا يمكن أن تكون امرأة.. هل يمكن؟

– قد تكون امرأة قوية.

– أنا واثقة بأن أية امرأة لا تفعل شيئًا كهذا.. كانت "جويس" مجرد طفلة.. في الثالثة عشرة من عمرها.

– لا أريد أن أطيل بقائي حتى لا أزيد أحزانك أو أن أوجه إليك أسئلة صعبة، فأنا واثق بأن رجال الشرطة يبذلون كل ما بوسعهم.. ولكنني مهتم بملاحظة أبدتها ابنتك قبيل بدء الحفل.. هل كنت موجودة في تلك اللحظة؟

– حسن.. كلا.. لم تكن صحتي على ما يرام في الفترة الأخيرة، أوصلت الأولاد بالسيارة ثم عدت لأعود بهم إلى المنزل.. كان الأولاد الثلاثة معا: "آن" الأخت الكبرى وهي في السادسة عشرة، و"ليوبولد" في الحادية عشرة.. ما الشيء الذي قالته "جويس" وتريد أن تعرفه؟

– سوف تخبرك السيدة "أوليفر" التي كانت موجودة بنص الكلمات التي قالتها ابنتك.. أعتقد أنها قالت إنها رأت ذات مرة جريمة ترتكب.

– "جويس"؟ لا يمكن أن تكون قد قالت شيئًا كهذا.. أي جريمة كان يمكن لها أن تراها؟ قال "بوارو" بهدوء:

– حسن.. رأى الجميع أن ذلك غير محتمل.. كنت أتساءل عما تعتقدينه.. ألم تحدثك عن شيء كهذا؟

– عن رؤيتها لجريمة؟ "جويس"؟

– ربما تذكرين أن كلمة جريمة قد وردت على لسان طفلة في مثل سن "جويس".. ربما تكون مجرد سيارة صدمت شخصًا أو مشاجرة بين بعض الأطفال دفع أحدهم خلالها طفلاً إلى الماء.. أعني شيئًا ليس خطيرًا ولكن كانت له نتائج وخيمة.

– حسن.. ربما كانت "جويس" تمزح. قالت السيدة "أوليفر" بحزم:

– كانت جادة تمامًا وظلت تردد أكثر من مرة أنها رأت بعينيها جريمة ترتكب. سألت السيدة "رينولدز":

– هل صدقها أحد؟ قال "بوارو":

– لا أدري. قالت السيدة "أوليفر":

– لا أظن أن أحدًا صدقها أو لعلهم لم يشجعوها على الاستمرار في الحديث. قال "بوارو":

–كانوا يسخرون منها ويقولون:

– إن القصة من نسج خيالها. قالت السيدة "رينولدز" بأسى:

– لم يكن ذلك لطيفًا من جانبهم كما لو أن "جويس" كانت تردد الكثير من الأكاذيب في أشياء كهذه. قال "بوارو" في محاولة للتخفيف عنها:

– ربما تكون مخطئة.. أعني أنها رأت شيئًا خيل إليها أنه جريمة كحادث طريق مثلاً. قالت السيدة "رينولدز" بأنفة:

– لو كان هذا صحيحًا ألم تكن تخبرني به؟

– ألم تذكر لك في الماضي شيئًا كهذا؟ ربما تكونين قد نسيت خصوصًا إذا لم يكن الأمر خطيرًا.

– في أي وقت تعني؟

– هذا أمر يصعب تحديده.. ربما منذ ثلاثة أسابيع أو ثلاثة أعوام فقد قالت إن ما حدث وقع وهي صغيرة.. ألم يقع في المكان حادث مثير تذكرينه يا سيدة "رينولدز"؟

– أوه! لا أظن.. قد نسمع أو نقرأ عن حادث في الصحف.. كالهجوم على سيدة أو فتاة، ولكنني لا أتذكر حادثًا مهمًا.. قد تكون "جويس" اهتمت به.

– ولكن إذا كانت "جويس" قد قالت بلهجة التأكيد إنها رأت جريمة فهل توافقينها؟

– لم تكن لتقول شيئًا كهذا ما لم تكن لتقطع بصدقه.. ربما تكون بعض الصور

قد اختلطت في ذهنها. سألها "بوارو" عما إذا كان يستطيع التحدث مع طفليها الآخرين، ولم تمانع الأم، وجاء "ليوبولد" الذي احتاج إلى بعض الوقت كي يهتم بالإجابة عن الأسئلة الموجهة إليه، سأله "بوارو":

– كنت موجوداً في الحفل.. هل سمعت ما قالته أختك؟ قال "ليوبولد" باستياء:

– أوه.. تعني ما قالته عن الجريمة؟!

– نعم.. هذا ما أعنيه.. قالت إنها رأت ذات مرة جريمة.. هل رأت حقًا شيئًا كهذا؟

– كلا بالتأكيد.. هكذا كانت "جويس".

– ما الذي تعنيه بأنها كانت هكذا؟

– كانت تحب الاستعراض.. كانت فتاة غبية.. كانت تقول أي شيء لتستلفت الأنظار.

– معنى هذا أنك تعتقد أنها اخترعت القصة؟ التفت الطفل نحو السيدة "أوليفر" قائلاً:

– أنت تكتبين الرواية البوليسية.. أعتقد أنها قالت ذلك لكي توليها عناية أكثر من الأخريات.. وأراهن على أن أحداً لم يصدقها. وقد ضحكت منها "بياتريس" و"كاثي".. قالتا إنها قصة من نسج الخيال.

عندما انتهى "بوارو" من سؤال "ليوبولد"، صعد إلى الطابق العلوي ليقابل "آن" التي كانت مشغولة بالمذاكرة، وقالت إنها كانت في الحفل وسمعت أختها تقول إنها رأت جريمة ولكنها لم تعر الأمر أي اهتمام، وسألها "بوارو":

– ألم تصدقي ما قالته؟

– لم أصدقه بالتأكيد.. فلم ترتكب جرائم هنا منذ أجيال.

– لماذا تظنين أنها قالت ذلك؟

– أوه. كانت تحب لفت الأنظار إليها.. وقد اخترعت في مرة من المرات قصة عن سفرها إلى "الهند".. سافر عمي إلى "الهند" في رحلة وادّعت أنها رافقته في

رحلته، وقد صدقتها بعض زميلاتها في المدرسة.

وسألها "بوارو" عما إذا كانت تذكر شيئًا عن جريمة وقعت في المكان منذ ثلاث سنوات أو أربع، وقالت "آن":

– كلا.. مجرد جرائم عادية.. أعني تلك التي نقرأ عنها في الصحف ولم تقع في "وودلي كومون" حيث وقع أغلبها في "مانشستر".

– من الذي تعتقدين أنه قتل أختك؟ لا شك في أنك تعرفين أصدقاءها والأشخاص الذين لا يحبونها.

– لا أتصور إنسانًا يقتل "جويس".. لابد أنه مختل العقل، لا يرتكب هذه الجريمة سوى مجنون.

– ألم تتشاجر مع أحد أو يختلف معها أحد؟

– تعني: هل كان لها أعداء؟ لا يوجد أعداء للإنسان في الواقع. مجرد أشخاص لا يشعرون نحوك بالميل. بينما كانوا يستعدون لمغادرة الحجرة قالت "آن":

– لا أريد أن أسيء إلى أختي فقد ماتت.. ولكنها كانت في الواقع أكبر كذابة عرفتها.. يؤسفني أن أقول هذا عن أختي ولكن هذا هو الواقع. عندما غادروا البيت سألت السيدة "أوليفر":

– هل نحرز بعض التقدم؟ قال "بوارو":

– لا شيء على الإطلاق.. وبدا على وجه السيدة "أوليفر" أنها لا توافقه على ذلك.

وصل "بوارو" في موعده مع المفتش "سبنس"، وقدمت له "إليزابيث ماك كاي" الشاي وبعض شطائر السجق، وكانت على العكس من أخيها تمامًا، فبينما هو يميل إلى السمنة فهي نحيلة كالخيط. وبينما يميل "سبنس" إلى طول التفكير فهي مندفعة سريعة الاستجابة، إلا أنهما يتشابهان في بعض الملامح، قطع "بوارو" الصمت بقوله:

– يتوقف الشيء الكثير على شخصية "جويس رينولدز"، وهذا أشد ما يحيرني. التفت نحو "سبنس" الذي قال:

– لا تستطيع أن تعتمد عليّ في ذلك ومن الأفضل أن تسأل "إليزابيث".

قالت السيدة "ماك كاي" على الفور:

– أستطيع أن أؤكد أن الفتاة كانت كذابة بحق. لديها القدرة على اختراع القصص الطويلة وروايتها ببراعة.. ولكنني لم أكن لأصدقها قط.

– هل تبتغي من وراء ذلك الاستعراض؟

– هذا صحيح.. لعلهم حدثوك عن قصة السفر إلى "الهند"، وكيف كانت تروي لزميلاتها في المدرسة المغامرات التي شاهدتها في "الهند" والنمور التي شاركت في اصطيادها، وكيف كانت تضيف المزيد إلى القصة في كل مرة ترويها.

– هل كانت تقصد لفت الأنظار إليها في كل مرة؟

– نعم.. كان ذلك هو هدفها. قال "بوارو":

– ولكن أحداً لم يصدقها. قال المفتش "سبنس" معترضاً:

– هل ترينها كاذبة في كل قصة ترويها؛ لأنها كطفلة اخترعت قصة سفرها إلى "الهند"؟

– ربما لم تكن كاذبة على طول الخط، ولكنني أرى أنها اعتادت الكذب.

– معنى هذا أنك لم تصدقيها عندما قالت إنها رأت بعينيها جريمة ترتكب؟ قالت السيدة "ماك كاي" بإصرار:

– هذا رأيي. قال أخرها:

– قد تكونين مخطئة. قال "بوارو":

– نعم.. كل إنسان معرض للخطإ.. وهذا يذكرني بقصة الغلام والذئب.. الذي ظل يصرخ مستنجداً لإنقاذه من الذئب، وكلما خف الناس لنجدته وجدوه يسخر منهم حتى إذا هاجمه الذئب بالفعل وصرخ مستنجداً لم يستمع إليه أحد، فدفع حياته ثمناً للكذب. لهذا فلا أزال أعتقد أن قصتها لم تكن حقيقية، ولكنني سيدة عادلة ومن ثم أقول إنها ربما رأت شيئاً جعلها تزعم ذلك. قال المفتش "سبنس":

– يجب أن تضعي في ذهنك أنها لقيت حتفها بسبب ذلك. قالت السيدة

"ماك كاي":

– هذا صحيح.. لهذا قلت إنني قد أكون مخطئة.. ولكنك لو سألت أي شخص آخر فسوف يقول لك إن الفتاة كاذبة بطبيعتها، ولا تنس أنها كانت في حفل وأن أعصابها كانت متوترة وأرادت أن تلفت إليها الأنظار.

هزت "إليزابيث" رأسها علامة النفي، وسأل "بوارو":

– من تكون الضحية التي رأتها تقتل؟ قالت السيدة "ماك كاي" بحزم:

– لا أحد..

– لابد أن بعض الوفيات قد حدثت هنا في خلال السنوات الثلاث الماضية؟ قال: "سبنس":

– هذا أمر طبيعي.. الوفيات العادية.. الأشخاص المسنون والمرضى وربما حادث سيارة..

– ألا تتذكر وفيات مفاجئة؟ قال "سبنس" بعد تردد لـ"إليزابيث":

– كتبت لك قائمة ببعض الحالات حتى أوفر عليك بعض الجهد.

– أهي قائمة تتضمن الضحايا المحتملين؟

– ليس ذلك تماماً.. قرأ "بوارو" بصوت مرتفع:

– السيدة "لليوين سمايث".. "شارلوت بنفيلد" "جانيت هوايت".. "ليزلي فيريبيه". توقف "بوارو" فجأة وهو يردد الاسم الأول.. السيدة "لليوين سمايث".. وقالت السيدة "ماك كاي":

– محتمل.. قد تكون محقاً في ذلك.. وخيل إلى "بوارو" أنه سمعها تذكر شيئاً عن الأوبرا، وقال لها بدهشة:

–أوبرا؟ قالت "إليزابيث":

– خرجت ذات ليلة ولم تعد قط.

– السيدة "لليوين سمايث"؟

– كلا.. كلا.. أعني فتاة الأوبرا.. ربما تكون قد دست لها شيئاً في الدواء.. وقد حصلت على كل المال، أو هذا ما اعتقدته في ذلك الوقت.

نظر "بوارو" إلى "سبنس" مطالباً بالمزيد من المعلومات، واسترسلت السيدة "ماك كاي" تقول:

– انقطعت أخبارها منذ ذلك الحين.. هكذا شأن تلك الفتيات الأجنبيات.

كانت تعيش مع السيدة العجوز قبل موتها ثم اختفت بعد الوفاة. قال "سبنس":

– ربما تكون قد هربت مع أحد أصدقائها. قالت "إليزابيث":

– حسن.. لم يسمع أحد عن وجود أصدقاء لها. سأل "بوارو" باهتمام:

– ألم يشك أحد في أسباب وفاة السيدة "لليوين سمايث"؟

– نعم. فقد كانت مريضة بالقلب وكان الطبيب يزورها بانتظام.

– ولكنك يا صديقي وضعتها على رأس القائمة؟

– حسن.. كانت سيدة ثرية وجاء موتها مفاجئاً لدرجة أن الدكتور "فيرجسون" أصيب بدهشة بالغة؛ لأنه كان يتوقع أن تعيش فترة أطول.. ولكنها كانت من الطراز العنيد الذي لا ينفذ تعليمات الطبيب وتفعل عكس ما يشير به.. فقد كانت على سبيل المثال مولعة بفلاحة الحديقة على الرغم من أن ذلك ضار بمرضى القلب. استكملت "إليزابيث" القصة قائلة:

– جاءت إلى هذا المكان بعد أن اعتلت صحتها.. كانت تعيش قبل ذلك في الخارج.. جاءت لتكون بالقرب من ابن أخيها وابنة أختها.. وعاشت معهم في بيت كبير تضم الأرض المحيطة به محجراً مهجوراً اجتذب انتباهها على أساس إمكان استغلاله في تحقيق حلم كان يراودها.. وأنفقت آلاف الجنيهات لتحول هذا المحجر إلى حديقة غائرة.. واستخدمت بستانياً جلبته من "وايزلي" ليعد الرسم، وأستطيع أن أؤكد لك أن الحديقة جديرة بالمشاهدة. قال "بوارو":

– سوف أذهب لمشاهدتها ذات يوم فربما أوحت إليّ ببعض الأفكار. قال "سبنس":

– إنها جديرة بالمشاهدة فعلاً. سأل "بوارو":

– تقول إنها كانت غنية؟

– كانت أرملة بنّاء للسفن وكانت تمتلك ثروة طائلة. قال "سبنس":

– لم يكن موتها أمراً غير متوقع، ولكنه تم بصورة مفاجئة.. لم تحم الشكوك حول أسباب غير طبيعية.. هبوط في القلب.

– ألم يجر تحقيق حول أسباب الوفاة؟ هز "سبنس" رأسه نفياً، وقال "بوارو":

– تكرر ذلك من قبل.. قيل لسيدة عجوز ألا تسرع في صعود السلم وهبوطه وأن تبتعد عن أعمال فلاحة الحديقة الشاقة، ولكنها لم تستمع للنصيحة.

– هذا صحيح. لقد حولت السيدة "لليوين" المحجر إلى تحفة فنية.. استمر العمل ثلاث سنوات أو أربع واشتركت مع المهندس في العمل حتى تنشئ الحديقة على طراز شاهدته قبل ذلك في "أيرلندا".. قال "بوارو" مفكراً:

– هذه إذن ميتة طبيعية بناء على تقرير الطبيب المحلي.. أليس هو نفس الطبيب الموجود الآن والذي سوف أراه قريباً؟

– بلى.. دكتور "فيرجسون".. طبيب كفء في حوالي الستين من عمره، محبوب من الجميع.

– ولكنك تشك في أنها ماتت مقتولة. قالت "إليزابيث":

– اختفاء فتاة الأوبرا على سبيل المثال.

– لماذا؟

– لأنها زورت الوصية.. من يزور الوصية غيرها؟ قال "بوارو" باهتمام:

– لابد أن أعرف المزيد من التفاصيل.. ما قصة هذه الوصية المزورة؟

قالت "إليزابيث" إن العجوز كانت تغير الوصية بين الحين والحين، لتمنح بعض الخدم الذين تفانوا في خدمتها بعض المال، ولكنها كانت في جميع المرات تترك الجانب الأكبر من ثروتها لابن أخيها وزوجته اللذين كانا أقرب الأقرباء إليها. وسأل "بوارو":

– كم أمضت فتاة الأوبرا من الوقت في خدمة السيدة العجوز؟

– ما يزيد قليلاً على العام.

– تطلقون على السيدة دائماً لقب العجوز.. كم كان عمرها؟

– الخامسة أو السادسة والستون. قال "بوارو" باهتمام:

– ليس هذا بالسن المتقدمة كثيراً. أضافت "إليزابيث":

– تركت العجوز عند وفاتها المسكن الذي أقيم في الحديقة للمهندس الذي صمم الرسم ليقيم فيه طالما رغب في ذلك، كما أوصت له ببعض المال؛ لإنفاقه على الحديقة لتظل مزاراً للناس..

– هل ادعى أفراد أسرتها أنها كانت مختلة العقل في آخر أيام حياتها، أو أنها كانت واقعة تحت تأثير شخص معين؟ قال "سبنس":

– ربما وصلت الأمور إلى هذا الحد، إلا أن المحامين أصروا على التمسك بأن الوصية مزورة، فقد كان التزوير واضحاً من النظرة الأولى. قالت "إليزابيث":

– كانت الأدلة تشير إلى سهولة تزوير الوصية؛ لأن فتاة الأوبرا كانت تكتب بخط يدها خطابات مخدومتها وتوقع باسمها.. وكانت تفعل ذلك بناء على تعليمات العجوز التي تصر على أن تكون خطاباتها الشخصية مكتوبة بخط اليد، وكان خط الفتاة شبيها بخط مخدومتها وتعودت مع مرور الوقت أن تتقن تقليده.. لهذا خطر ببالها أن تزور الوصية لصالحها. إلا أن المحامين وقفوا لها بالمرصاد.

– محامو السيدة "لليوين سمايث"؟

– نعم.. مكتب "فولرتون" و"هاريسون" و"ليد بيتر".... مؤسسة محترمة للغاية في "مانشستر"، وكان المكتب يتولى جميع شؤونها القانونية..

سأل خبراء المكتب الفتاة وضيقوا عليها الخناق وأخبروها في النهاية أنهم سيستخدمون ضدها الإجراءات القانونية.. ولكن الفتاة أسرعت بالفرار من البلاد.. ربما تكون قد عادت إلى موطنها الأصلي أو غيرت اسمها وقصدت إلى بعض الأصدقاء. سأل "بوارو":

– ولكن الجميع كانوا يعتقدون أن السيدة "لليوين سمايث" ماتت ميتة طبيعية؟

– نعم.. ولكنني وضعتها على رأس القائمة؛ لأن "جويس" ربما تكون قد سمعت شيئاً.. كأن تكون قد سمعت العجوز تقول لفتاة الأوبرا عن الأدوية التي

تقدمها إليها: طعم هذا الدواء مختلف.. أو أن للدواء مذاقاً غريباً أو لاذعاً.. قال "سبنس" لأخته:

– من يسمعك تقولين هذا يا "إليزابيث" يتصور أنك سمعت ذلك الحديث بنفسك. كل ما تقولينه مجرد تصور.. سأل "بوارو":

– متى ماتت؟ في الصباح.. في المساء.. داخل البيت أو خارجه؟

– أوه! داخل البيت.. رجعت من الحديقة متعبة ورقدت على سريرها ولم تستيقظ بعدها قط.. وكل هذا من وجهة النظر الطبية يعتبر أمراً طبيعياً.

أخرج "بوارو" من جيبه دفتر مذكراته وكتب في صفحة عنوانها: الضحايا.. الحالة رقم 1 حالة السيدة "لليوين سمايث"، ثم كتب في الصفحات التالية بقية الأسماء التي أعدها له "سبنس"، ثم سأل:

– وماذا بشأن "شارلوت بنفيلد"؟ أجاب "سبنس" على الفور قائلاً:

– في السادسة عشرة من عمرها.. كانت مصابة بجروح وكدمات متعددة.. عثروا على جثتها على ممر بالقرب من غابة الهجر. اتجهت الشبهات نحو شابين إلا أن التحقيق لم يسفر عن شيء.

– ومتى وقع الحادث؟

– منذ ثمانية عشر شهراً.

– وأين وقع؟

– في حقل لا يبعد كثيراً عن "وودلي كومون".

– بالقرب من بيت "جويس"؟

– كلا.. بل في الجانب الآخر من القرية.

– ليس من المحتمل أن تكون الجريمة التي تحدثت عنها "جويس".. قرأ "بوارو" الاسم التالي: "ليزلي فيريير". كان "سبنس" هو المتحدث أيضاً حيث قال:

– كاتب محام.. في الثامنة والعشرين.. يعمل في مكتب "فولرتون" و"هاريسون" و"ليد بيتر" في شارع "ماركت" في "مانشستر".

– المكتب الذي كانت تتعامل معه السيدة "لليوين"؟

– نعم..

– وما الذي حدث لـ "**ليزلي فيربيه**"؟

– طعنة في الظهر بالقرب من حانة "**سوان**".. قيل إنه كان على علاقة مع زوجة صاحب البيت واسمه، "**هاري جريفين**".. وكان يصغرها بخمس سنوات أو ست.

– والسلاح المستخدم في الجريمة؟

– لم يعثر على السكين.. أشيع أن "**ليزلي**" هجر عشيقته وأقام علاقة مع فتاة أخرى لم تكتشف شخصيتها قط.

– ومن الذي وجه إليه الاتهام في هذه القضية: الزوجة أم الزوج؟

– حامت الشكوك حول كل من الطرفين وإن كانت الزوجة هي الأكثر احتمالاً.. ولكن كانت هناك احتمالات أخرى؛ لأن الشاب كان معوج السلوك. وسبق أن حكم عليه بالسجن مدة قصيرة. وعندما خرج من السجن التحق بالعمل في مكتب المحاماة واكتشف بعد مقتله أن له حساباً كبيراً في البنك.

– أليس من المحتمل أن يكون قد سرقه من المكتب؟

– نعم.. ولكن ثبت أن خزينة المكتب لم تمس.. قال "**بوارو**" مرة أخرى:

– ليس نوع الجريمة التي يمكن لفتاة مثل "**جويس**" أن تراها.

قرأ "**بوارو**" الاسم الأخير: "**جانيت هوايت**". قال "**سبنس**":

– وجدت مخنوقة في منتصف الطريق بين بيتها والمدرسة. كانت تقيم في مسكن مشترك مع مدرسة أخرى تدعى "**نورا أمبروز**".. ووفقاً لأقوال "**نورا**" فقد كانت "**جانيت**" عصبية وتتحدث في وجل بين الحين والحين عن علاقة كانت تربطها بأحد الشبان، وعندما قطعت علاقتها معه ظل يطاردها بخطابات التهديد.. ولم يعرف أي شيء عن ذلك الشاب. لم تكن "**نورا أمبروز**" تعرف اسمه ولا المكان الذي يعيش فيه. قال "**بوارو**" بابتهاج:

– تستهويني هذه الحالة. سأل "**سبنس**":

– لماذا؟

– لأنها حالة القتل المحتمل أن تكون "**جويس**" قد رأتها.. فهي تعرف المدرسة وربما تكون المدرسة التي تعلمها، وربما تكون قد عرفت القاتل.. قد تكون رأتهما يتشاجران. وضغط الشاب على رقبتها ولم تدرك في ذلك الحين أنه يخنقها.. متى قتلت "**جانيت**"؟

– منذ عامين ونصف العام.

– تقريباً نفس الوقت.. نظر "**بوارو**" إلى "**إليزابيث**" وقال لها:

– هل تشاركينني في الرأي؟ قالت "**إليزابيث**":

– ألست تسلك طريقاً خاطئاً؟ إنك تبحث عن جريمة وقعت في الماضي بينما المفروض أنك تبحث عن قاتل ارتكب جريمته منذ ثلاثة أيام. قال "**بوارو**" بهدوء:

– نحن نتجه من الماضي إلى المستقبل لنصل إلى الحل في النهاية.. والمطلوب الآن أن نعرف على وجه التحديد الأشخاص الذين كانوا موجودين في الحفل لنبحث عن علاقة تربطهم بجريمة سابقة. قال "**سبنس**":

– نستطيع أن نحصر الآن دائرة البحث إذا كنا نسلم بصحة نظريتك أن "**جويس**" قتلت؛ لأنها قالت إنها رأت جريمة، قالت ذلك في أثناء فترة الإعداد للحفل.. وأن القاتل سمع ذلك ورأى أن يتخلص منها بسرعة. قال "**بوارو**":

– من كان حاضراً في ذلك الوقت؟.. أجاب "**سبنس**" بأنه أعد قائمة بأسماء الذين كانوا موجودين، وكتب "**بوارو**" في دفتر مذكراته: قائمة بأسماء الحاضرين وقت الإعداد للحفل:

السيدة "**دريك**" (صاحبة البيت). السيدة "**بتلر**". السيدة "**أوليفر**". الآنسة "**هويتاكر**" (مدرسة). الأب "**تشارلزكوتريل**" (راعي الكنيسة). "**سيمون لامبتون**" (قس). الآنسة "**لي**" (ممرضة مساعدة للطبيب). "**آن رينولدز**". "**ليوبولد رينولدز**".

"**جويس رينولدز**". "**نيكولاس رانسوم**". "**ديزموند هولاند**". "**بياتريس**

آردلي" . "كاثي جرانت" . "ديانا برنت" . السيدة "جارلتون" (الخادمة) . السيدة "ميندن" (خادمة) السيدة "جودباي" (معاونة) . سأل "بوارو" :

– هل أنت واثق بأن هذه القائمة تضم الجميع؟

– كلا . . فهناك أشخاص آخرون جاءوا لتقديم خدمات وانصرفوا مثل عمال الكهرباء والذين أحضروا المرايا، وقد يكون أحدهم قد سمع كلام الفتاة . .

– يبقى سؤال أخير . . هل تحدث أي شخص من الحاضرين عن سماعه "جويس" تقول إنها رأت جريمة؟

– لا أعتقد . . لا يوجد تسجيل رسمي لأقوال الحاضرين وكانت أول مرة أسمع فيها القصة منك . قال "بوارو" بابتهاج:

– شيء ممتع وجدير بالملاحظة . قال "سبنس" :

– لأن أحداً لم يأخذ الكلام على محمل الجد .

أومأ "بوارو" برأسه ووضع دفتر مذكراته في جيبه واستأذن؛ لارتباطه بموعد مع الدكتور "فيرجسون" .

استقبله الدكتور بترحاب، وأخبره "بوارو" أنه ذهب إلى المفتش "سبنس" والمفتش "رجلان" وتلقى منهما كل معاونة ممكنة، وأنه يرجو أن يلقى منه نفس الشيء، وقال الدكتور "فيرجسون" :

– استدعيت خلال السنوات السبع أو العشر الأخيرة لمعاينة جثث كثير من الأطفال الذين قتلوا . . والسبب في رأيي أن عدداً كبيراً من المجانين مطلقو السراح، وهم يبدون في الحياة العامة أشخاصاً ظرفاء عاديين، وينتهزون أول فرصة لقتل الطفل الذي يصادفهم في غفلة من رقابة الأعين، ولكن قتل طفلة في أثناء حفل يعتبر شيئاً جديداً . وسأله "بوارو" عما إذا كانت لديه فكرة عن القاتل فقال:

– هل تعتقد أنني أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال بسهولة؟ يجب أولاً أن يتوفر لدي الدليل . . يجب أن أكون متأكداً .

– ولكنك تستطيع أن تخمن .

– كل إنسان يستطيع أن يخمن . ولكنني لا أستطيع أن أدلي برأي قبل أن أتحقق

من كل شيء . .

– هل كنت تعرف الفتاة؟

– أعرفها بالتأكيد . . كانت واحدة من مرضاي . . يوجد هنا طبيبان . . أنا و"ووورال"، وأنا طبيب أسرة "رينولدز" . . كانت "جويس" تتمتع بصحة جيدة . . لم تكن مصابة بأي مرض سوى الأمراض العادية التي تصيب الأطفال . . كانت تأكل كثيراً وتتحدث كثيراً . . ولكن كثرة الكلام لا تسبب ضرراً للإنسان . . ولكن كثرة الطعام كانت تسبب لها بعض المتاعب . . أصيبت بالتهاب الغدة النكفية والجدري ولا شيء غيرهما .

– أليس من المحتمل أن تؤدي بها الرغبة في كثرة الكلام إلى مأساة؟

– أفهم ما تعنيه . فقد سمعت الإشاعة الرائجة . . ولكن أحداً لم يكن يكره الطفلة أو يريد لها الموت . . الجواب عن سؤالك في ذهن الإنسان المختل عقلياً الذي ارتكب تلك الجريمة . . ربما يكون قاتل "جويس" طفلاً والداه لطيفان ولا يشك أحد في أن الطفل مختل العقل .

– أليست لديك شكوك معينة؟

– لا أستطيع أن أقول شيئاً بغير دليل . خرج "بوارو" من الزيارة بغير طائل سوى أن الطبيب الذي حضر نهاية الحفل وافقه على رأيه حيث قال بشرود :

– نعم . . كان القاتل واحداً من الموجودين في الحفل .

*****

- 6 -

توجه "بوارو" إلى المدرسة حيث استقبلته الآنسة "إيملين" السكرتيرة قائلة إنها سمعت عنه من إحدى صديقاتها. وسألته عما إذا كان يعرف "جويس رينولدز" أم أسرتها، وقال إنه قادم بناء على طلب صديقته السيدة "أريادن أوليفر"، وقالت "إيملين":

– إنها مؤلفة مشهورة وقد قرأت بعض رواياتها.. ثم تطرق الحديث إلى الجريمة التي وصفتها الآنسة "إيملين" بأنها جريمة نفسية، ولكن "بوارو" قال معترضاً:

– كلا.. أعتقد أنها جريمة قتل دنيئة.. وأن الدافع لارتكابها حقير..

– حقًا.. وما السبب؟

– ملاحظة أبدتها "جويس" قبل بدء الحفل.. فقد أعلنت أمام بعض الحاضرين أنها شاهدت جريمة ترتكب.

– هل صدقها أحد؟

– لا أعتقد أن أحداً صدقها.

– وهذا رد الفعل الطبيعي يا سيد "بوارو".. وبعيداً عن العواطف أستطيع أن أخبرك أن "جويس" كانت فتاة متوسطة.. لم تكن غبية كما أنها لم تكن عالية الذكاء.. وبصراحة كانت كذابة.. كانت تبالغ لتؤثر في سامعيها، لهذا أصبح الجميع لا يصدقونها.

– هل تعتقدين أنها بالغت عندما قالت إنها رأت جريمة؟

– نعم.. وكانت السيدة "أريادن أوليفر" هي الشخصية التي أرادت استرعاء انتباهها.

– هكذا تعتقدين أنه لم تكن هناك جريمة على الإطلاق؟

– أشك في ذلك تماماً..

– هل ترين أنها اختلقت القصة؟

– لا أقول ذلك تماماً.. ربما رأت حادث سيارة أو كرة الجولف تصيب رأس إنسان

مما جعلها تتخيله جريمة.

– ولكن الأمر الذي لا نختلف عليه أن جريمة حقيقية قد ارتكبت في حفل عيد الأشباح.

– بالتأكيد.. بالتأكيد.

– هل لديك فكرة عمن يحتمل أن يكون القاتل؟

– كانت أعمار الأطفال الموجودين في الحفل تتراوح بين تسعة وخمسة عشر عاماً وكلهم أو معظمهم من تلاميذ المدرسة والمفروض أنني أعرفهم.. وأعرف عائلاتهم وماضيهم.

– أعتقد أن واحدة من مدرسات هذه المدرسة قد لقيت مصرعها خنقًا منذ عام أو عامين ولم يكتشف القاتل.

– هل تعني "جانيت هوايت"؟ في حوالي الرابعة والعشرين من عمرها... كانت فتاة عاطفية. خرجت للنزهة وحدها.. ربما كانت على موعد مع أحد الشبان.. كانت فتاة جذابة تستهوي قلوب الرجال وقد استجوب رجال الشرطة العديد من الشبان ولكنهم لم يستطيعوا توجيه التهمة إلى أحد..

– لعلك تتفقين معي على مبدأ عام وهو أننا لا نقر الجريمة.

نظرت إليه الآنسة "إيملين" بإمعان قبل أن تقول:

– أنا أحب الطريقة التي تعرض بها الموضوع.. يبدو مما نسمع ونقرأ في هذه الأيام أن قطاعًا عريضاً من المجتمع أصبح يتقبل انتشار الجريمة. وقفت الآنسة "إيملين" قائلة:

– أعتقد أنه من الأنسب أن تقابل الآنسة "هويتاكر". خرجت الآنسة "إيملين" ودخلت بعد قليل سيدة في حوالي الأربعين من عمرها وقالت:

– أعتقد أنك جئت بخصوص "جويس رينولدز".. ما صلتك بالقضية.. عن طريق الشرطة؟

– كلا.. وإنما عن طريق صديقة لي. جلست "إليزابيث هويتاكر" على مقعد قبالته ثم قالت:

– ما الذي تريد أن تعرفه؟

– ألم تكوني موجودة في الحفل؟

– بلى.. كان حفلاً لطيفاً.. أعد بعناية وحضره قرابة الثلاثين شخصاً إذا حسبنا الأطفال والمراهقين والكبار وبعض الخدم الذين حضروا للمعاونة.

– هل اشتركت في الترتيبات السابقة للحفل.. أعني في الصباح أو بعد الظهر؟

– لم يكن هناك في الواقع ما يتطلب منا المشاركة، فقد استطاعت السيدة "دريك" إعداد كل الترتيبات مستعينة بأقل عدد ممكن..

– هل جئت إلى الحفل كواحدة من المدعوات؟

– هذا صحيح.

– وما الذي حدث؟

– تعني سير الحفل.. تريد أن تعرف شيئاً أو ملاحظة خاصة لاحظتها تكون لها دلالة معينة؟ لا أريد أن أضيع وقتك.

– أنا متأكد أنك لن تضيعي وقتي يا آنسة "هويتاكر"..

– سار كل شيء وفقاً للبرنامج المعد، حتى وصلنا إلى الفقرة الأخيرة التي تضمنت محاولة المتسابقين التقاط حبات العنب الموضوع على طبق من تحته نار مشتعلة، وانغمس المتسابقون في اللعبة وعلا الضحك وساد الضجيج وشعرت بحرارة المكان فقررت أن أغادر الحجرة وخرجت إلى الصالة، وبينما كنت واقفة هناك رأيت السيدة "دريك" تخرج من الحمام حاملة زهرية كبيرة بها بعض الزهور وكانت تقف في الزاوية على رأس السلم.

وترددت برهة قبل أن تقرر النزول، كانت تنظر إلى بعر السلم وليس ناحيتي.. كانت تنظر إلى الطرف الآخر من الصالة حيث الباب المؤدي إلى المكتبة.. كما قلت كانت في ذلك الاتجاه قبل النزول.. مالت الزهرية في يدها قليلاً؛ لكثرة الماء بداخلها، وكانت تهبط بحذر وهي تمسك بيد بينما استندت إلى سور السلم باليد الأخرى، وعندما نزلت بضع درجات وقفت في مكانها برهة دون أن تنظر إلى الزهرية التي تحملها، وفجأة صدرت عنها حركة كأنها رأت شيئاً أفزعها.. واختل

توازن الزهرية فمالت وانسكب الماء عليها ثم انزلقت الزهرية من يدها وسقطت في الصالة بعد أن تحطمت إلى قطع صغيرة تناثرت فوق أرض الصالة.

سكت "بوارو" وهو يطيل النظر إلى وجه محدثته، ثم قال:

– نعم.. ما الذي تعتقدين أنه أفزعها؟

– عندما فكرت في الأمر بعد ذلك اعتقدت أنها رأت شيئاً.

– رأت شيئاً مثل ماذا؟

– كانت نظرات عينيها كما قلت لك متجهة نحو المكتبة.. ربما رأت باب المكتبة يفتح أو مقبض الباب يدور.. أو لعلها رأت شخصاً يفتح الباب ويهم بالخروج.. ربما رأت شخصاً لم تكن تتوقع رؤيته.

– هل كنت أنت نفسك تنظرين إلى الباب؟

– كلا. كنت أنظر إلى الجهة المضادة حيث تقف السيدة "دريك".

– وأنت تعتقدين أنها رأت شيئاً أفزعها؟

– نعم.. باب يفتح. ربما شخص غير مرغوب فيه.. مما تسبب في سقوط الزهرية من يدها..

– هل شاهدت أحداً يخرج من الباب؟

– كلا.. لم أكن أنظر إلى ذلك الاتجاه ولا أعتقد أن أحداً خرج في تلك اللحظة إلى الصالة.. ربما ارتد ذلك الشخص إلى داخل الحجرة.

– ما الذي فعلته السيدة "دريك" بعد ذلك؟

– قالت شيئاً تعبر به عن استيائها ثم هبطت الدرجات وقالت لي: انظري ما فعلته! ساعدتها على جمع الزجاج المتناثر. وكان الأطفال قد بدؤوا في الخروج من غرفة المائدة.. وبعد قليل وصل الحفل إلى نهايته.

– ألم تذكر لك السيدة "دريك" شيئاً عما أفزعها؟

– كلا.. لم تقل أي شيء.

– ولكنك تعتقدين أن شيئاً أفزعها.

– ربما يا سيد "بوارو" ولكنني خشيت أن أثير ضجيجاً حول موضوع ليست له

أدنى أهمية.

– لا أظن ذلك.. فقد ذهبت لمقابلة السيدة "دريك"؛ لأعاين المكان الذي وقعت فيه المأساة، ولم أجدها سيدة يمكن أن تصاب بالفزع بسهولة، هل توافقينني على هذا؟

– بالتأكيد.. وهذا مصدر دهشتي لما حدث.

– ألم توجهي إليها أي سؤال في ذلك الوقت؟

– لم يكن من اللائق وأنا أرى مضيفتي تحطم زهرية ثمينة أن أسالها عن سبب وقوع الحادث وبهذا أصفها بالإهمال، وأنا واثقة بأنه ليس من سمات السيدة "دريك".

– وبعد ذلك كما تقولين وصل الحفل إلى نهايته وبدأ الأطفال وأمهاتهم في الانصراف ولم ير أحد "جويس".. نحن نعلم الآن أنها كانت ميتة في المكتبة.. من كان إذن الشخص الذي حاول الخروج من باب المكتبة في وقت سابق. دعينا نقل في الوقت الذي سمع فيه الأصوات في الصالة، ودخل الحجرة ثانية عندما بدأ الناس يدخلون الصالة.. أعتقد يا آنسة "هويتاكر" أنك لم تجدي وقتًا للتفكير فيما حدث قبل اكتشاف الجثة؟

– هذا صحيح.. يؤسفني أنني لا أستطيع أن أزودك بالمزيد من المعلومات..

– بالمناسبة.. لدي سؤال أخير أو سؤالان على الأصح.

– هات ما لديك.

– هل تذكرين الأحداث التي وقعت في الحفل بترتيب وقوعها؟

– أعتقد هذا.. بدأ الحفل بمسابقة المكانس.. ثم نوع في مسابقة البالونات.. محاولة فرقعة البالونات. فقرة فكاهية للترفيه عن الأطفال.. ثم تطلعت الفتيات إلى المرآة حيث يظهر عليها وجه ولد أو شاب.

– كيف كان يتم عكس الصور على المرآة؟

– هذا أمر بسيط للغاية.. تم نزع عارضة الباب بحيث ينظر من خلال الفجوة عدد من الوجوه المختلفة التي تنعكس صورتها على سطح المرآة التي تحملها الفتاة.

– هل كانت الفتاة تعرف الشخص الذي تنعكس صورته على المرآة؟

– أعتقد أن البعض منهن كان يعرف والبعض لا يعرف.. وكان المكياج يستخدم أو توضع بعض اللحى المستعارة.. ومعظم الأولاد كانوا معروفين للفتيات عدا شخصية أو شخصيتين من الغرباء.. وقد كانت هذه الفقرة مبعث سعادة ومرح البنات.. ثم بدأ بعد ذلك سباق الموانع ثم لعبة قمع الدقيق المقلوب.. وأعقب ذلك الرقص ثم العشاء.. بعد ذلك جاءت اللعبة الأخيرة.. لعبة العنب المحمي فوق النار.

– متى رأيت "جويس" لآخر مرة؟

– لا أذكر فأنا لا أعرفها جيدا.. ليست في فصلي.. ولم تكن فتاة مسلية؛ لهذا لم أحاول مراقبتها.. ولكني رأيتها تشارك في لعبة الدقيق. وكانت غبية؛ لأنها سكبت الدقيق كله.. كانت على قيد الحياة حتى هذه اللحظة، ولكن ذلك كان في بداية الحفل.

– ألم تشاهديها تدخل المكتبة مع أحد؟

– لا بالتأكيد وإلا لكنت ذكرت لك ذلك من قبل؛ لأنها واقعة لها دلالتها وأهميتها.

– والآن.. إلى السؤال الثاني أو الأسئلة الأخرى.. متى التحقت بخدمة المدرسة؟

– منذ ستة أعوام.

– وما المادة التي تعلمينها؟

– الحساب واللاتيني.

– هل تذكرين مدرسة كانت تدرس في المدرسة منذ عامين اسمها "جانيت هوايت"؟ تصلب وجه "إليزابيث هويتاكر" وقفزت من مقعدها ثم عادت إلى الجلوس قائلة:

– ولكن ليس لهذا صلة بالموضوع؟

– ربما تكون له صلة ما.

– كيف؟

- قالت "جويس" أمام بعض الحضور إنها رأت جريمة ترتكب منذ بضع سنوات.. أليس من المحتمل أن تكون جريمة قتل "جانيت هوايت"؟ كيف لقيت "جانيت" حتفها؟

- خنقت.. كانت عائدة من المدرسة بالليل.

- وحدها؟!

- ربما لم تكن وحدها.

- ولكن ليس مع "نورا أمبروز"؟

- ما الذي تعرفه عن "نورا أمبروز"؟

- لا شيء حتى الآن، ولكنني أحب أن أعرف.. كيف كان شكلهما؟

- مثيرتان جنسيًا إلى حد بعيد.. ولكن كيف لـ"جويس" أن تعرف شيئًا كهذا؟ لقد وقع الحادث بالقرب من غابة المحجر ولم تكن سن "جويس" تتجاوز العاشرة أو الحادية عشرة في ذلك الوقت. سأل "بوارو" بهدوء:

- أي الفتاتين كان لها صديق؟

- كل هذا تاريخ قديم.

- تعكس الأيام الماضية ظلالاً طويلة.. أين "نورا أمبروز" الآن؟

- تركت المدرسة والتحقت بوظيفة أخرى في الشمال.. كانتا صديقتين حميمتين وقد ساءها مصرع صديقتها.

- ألم تتوصل الشرطة إلى حل القضية؟ هزت الآنسة "هويتاكر" رأسها مستأذنة في الانصراف. قال "بوارو":

- شكرًا للمعلومات التي قدمتها إليّ.

✲✲✲✲✲

- 7 -

ألقى "بوارو" نظرة على واجهة القصر المبني على الطراز الفيكتوري، وهو يتخيل منظره من الداخل بما يحويه من فاخر الأثاث ورائحة الماضي، ورفع بصره إلى النوافذ المغطاة بالستائر، وضغط على زر جرس الباب وفتحت له سيدة ذات شعر رمادي، وأخبرته أن العقيد والسيدة "ويستون" في "لندن" ولا تنتظر عودتهما قبل أسبوع، وسألها عما إذا كان يستطيع زيارة حديقة المحجر وأخبرته أن زيارة الحديقة مسموحة للجمهور دون أجر.

لم يجد "بوارو" عناء في الوصول إلى الحديقة بعد أن سلك ممرًا فيه لافتة تشير إلى مكان الحديقة، وسار بين صفين من الأشجار وعقله مشغول بالتفكير في حقيقتين: وصية مزورة وفتاة اختفت من الوجود، وفنان محترف شاب جاء ليحيل أرض المحجر المهجورة إلى جنة غائرة.. وتذكر أن السيدة "لليوين سمايث" قامت برحلة إلى "أيرلندا" حيث رأت حديقة مماثلة، وأنه قام بزيارة تلك الحديقة وانطبعت صورتها في ذهنه.. تطلع "بوارو" إلى الأشجار والأزهار والجمال الذي يحيط المكان بسحر أخاذ.. أرادت السيدة "لليوين" أن تقيم تلك التحفة الفنية. وعثرت على الشخص الذي يمكن أن يحيل حلمها إلى حقيقة.. شاب يدعى "مايكل جارفيلد"، ولا شك في أنها دفعت له مبلغًا كبيرًا من المال وشيدت له منزلاً خاصًا به.. ولم يخيب "مايكل" آمالها واستجابت له الأرض وتحولت إلى جنة وارفة الظلال.. تعجب "بوارو" وهو يتساءل: هل استجابت الأرض للسيدة "لليوين سمايث" أم لـ"مايكل جارفيلد"؟ وتخيل أن السيدة العجوز كانت تعطي أوامرها، والشاب يقوم بالتنفيذ، ولكنه يصنع شيئًا من إبداع خياله ويقنع العجوز بأن النتائج هي عين ما أشارت به.. فكر "بوارو" في سكان القصر الحاليين، كانت لديه أسماؤهم: عقيد عجوز وزوجته. وكان واثقًا بأن أصحاب القصر الحاليين لا يحبون المكان كما كانت صاحبته تحبه..

سار "بوارو" في ممشى طويل وهو يتعجب من الطريقة التي مُهِّد بها لكي يوفر أقصى قدر من الراحة لمن يتجول فيه، واتجه إلى مقعد جلس عليه وهو يتأمل المكان بافتتان. وحدث "بوارو" نفسه قائلاً إنه يرغب في مقابلة "**مايكل جارفيلد**" الذي صنع هذه التحفة الفنية..

حملق "بوارو" إلى التجويف الذي يقع تحت قدميه حيث يتحول الممر إلى الجانب الآخر، واسترعى انتباهه شجيرة ذات أغصان لونها أحمر ذهبي وهو يهمس لنفسه: ماذا أرى؟ أهو نتيجة سحر المكان؟ تبين له أنه أمام شاب يقف على الجانب الآخر من التجويف تحيط به أوراق الشجر ذات اللون الأحمر الذهبي، وأن الشاب على درجة غير عادية من الجمال.. وقف "**بوارو**" بينما اقترب منه الشاب، وعندئذ اكتشف "بوارو" أنه تجاوز الثلاثين وربما كان يقترب من الأربعين. كانت ترتسم على فم الشاب ابتسامة شاحبة، وكان طويلاً نحيلاً، ملامحه ذات جمال لافت للنظر، وعيناه سوداوان وشعره أسود، وقال "بوارو":

– ربما أكون معتدياً على أملاك الآخرين.. إذا كان الأمر كذلك أقدم لك اعتذاري فأنا غريب عن هذا المكان من العالم.. فقد وصلت بالأمس فقط. قال الشاب بصوت شديد الهدوء:

– لا أستطيع أن أسمي الأمر كذلك.. فالحديقة مفتوحة للجمهور ولا يعترض صاحب المكان.. ولكن العقيد العجوز يعترض إذا أحدث بعض الزائرين بعض الضرر ولكن ذلك لا يحدث في الواقع. قال "**بوارو**" وهو يتطلع حوله:

– يستطيع الإنسان أن يتخيل العشاق يتنزهون في هذا المكان.

– لا يأتي العشاق إلى هنا، فمن المعتقد أنه مكان منحوس لسبب خاص.

– هل أنت المهندس أم أنا مخطئ؟

– اسمي "**مايكل جارفيلد**".

– هذا ما خمنته.. أنت الذي صنعت هذا؟

– هز الشاب رأسه مؤمناً، قال "**بوارو**":

– أعتقد أنك صنعته من أجل سيدة تدعى السيدة "**لليوين سمايث**".. لم تعد على قيد الحياة على ما أعتقد.. هل يملك المكان الآن العقيد والسيدة "**ويستون**"؟

– نعم. حصلوا عليه بثمن زهيد.. فهو مكان كبير ويحتاج إلى مصروفات ضخمة.. وقد تركته العجوز لي في وصيتها.

– وقمت بعرضه للبيع؟

– نعم.

– ولكنك لم تعرض حديقة المحجر للبيع.

– أوه! نعم ذهبت الحديقة مع القصر.

– لماذا؟ اعذرني لفضولي..

– إنك توجه أسئلة غير عادية.

– إنني أسأل لمعرفة الوقائع أكثر من الوصول إلى النتائج.. لماذا فعل (أ) كذا كذا.. ولماذا فعل (ب) شيئاً آخر.. لماذا كان سلوك (س) مختلفاً عن سلوك (أ) و(ب)؟

– كان ينبغي أن توجه حديثك هذا إلى عالم.. إنه أمر كما يقولون لنا اليوم يتعلق بالجينات والكروموزومات..

– هل كانت مخدومتك راضية عن العمل الذي أتممته؟

– إلى حد ما.. كنت حريصاً على تحقيق رغبتها، وكانت...

– يبدو ذلك أمراً غير محتمل، فقد سمعت أن السيدة كانت في الخامسة والستين، هل يسهل إرضاء الناس في هذه السن؟

– استطعت أن أؤكد لها أنني أقوم بتنفيذ تعليماتها وتصوراتها وأفكارها.

– وهل كان الأمر كذلك؟

– هل تسألني هذا السؤال بجدية؟

– كلا.. بصراحة لا.. قال "**مايكل جارفيلد**":

– يعمل الإنسان من أجل النجاح في الحياة.. يعمل الإنسان كي يحقق رغباته

ويشبع نزعاته الفنية، ولكنه لا ينسى أنه تاجر يجب أن يبيع السلعة التي يروج لها. قمت في الواقع بتنفيذ أفكاري وبعتها لمخدومتي وأنا أدخل في روعها أنني أنفذ خططها وأفكارها.

– أنت شاب غير عادي.. وهمس "بوارو" لنفسه: متعجرف. قال "مايكل":

– ربما.

– لقد حققت هنا شيئاً رائع الجمال.. أهنئك على هذا الإنجاز الرائع.

– ولكنك لا تزال تواصل أبحاثك؟ ابتسم "بوارو" وهو يسأله:

– إذن فأنت تعرف شخصيتي. أحس "بوارو" بالزهو، فقد كان يرضي غروره أن يعرف الناس شخصيته، وقال "مايكل":

– أنت تتبع أثراً من الدم.. الجميع هنا يعرفون ذلك.. فهو مجتمع صغير.. رحلة جديدة تقوم بها لتحقق نجاحاً آخر.. وقد استقدمت سيدة أخرى ناجحة.

– آه.. تقصد السيدة "أوليفر"؟!

– "أريادن أوليفر".. مؤلفة مشهورة تروج رواياتها، ويحب الناس أن يلتقوا بها؛ ليعرفوا رأيها في كثير من الموضوعات مثل هموم الطلاب، والاشتراكية، وملابس الفتيات وهل يسمح بتدريس الجنس ومثل ذلك من الموضوعات التي لا تدخل في دائرة اهتمامها.

– نعم.. نعم.. لا يتعلمون منها الكثير.. كل ما يعرفونه أنها مولعة بالتفاح. وإن كنت أخشى أن أخبرك أنها لم تعد تحب التفاح الآن.

– كان التفاح هو سبب مجيئك إلى هنا. أليس كذلك؟

– اصطياد التفاح في حفل يقام في عيد الأشباح.. ألم تحضر ذلك الحفل؟

– لا..

– كان ذلك من حسن حظك.

– من حسن حظي.. لماذا؟!

– حضور حفل تقع فيه جريمة قتل ليس بالأمر السار؛ لأنه يعرض الإنسان للكثير من الأسئلة.. هل كنت تعرف الفتاة؟

– أوه! نعم عائلة "رينولدز" معروفة هنا.. وفي هذا المجتمع الصغير يعرف كل إنسان الجميع..

– كيف كان شكل تلك الفتاة؟

– "جويس"؟ كيف أستطيع أن أصورها لك؟ لم تكن ذات أهمية. كان صوتها قبيحاً.. حاداً.. هذا كل ما أذكره عنها.. أنا لست مولعاً بالأطفال وأتبرم منهم.. وكانت "جويس" تتحدث كثيراً عن نفسها.

– هل كانت مسلية؟

– لا أظن ذلك.. هل يجب أن تكون كذلك؟

– من رأيي أن الأشخاص الذين لا يثيرون الاهتمام لا يكونون عرضة للقتل.. والناس يقتلون: إما للمكسب أو الخوف أو الحب.. على الإنسان أن يختار ولكن يجب أن يحدد نقطة البدء.

قطع "بوارو" حديثه وهو يتطلع إلى ساعته واستأذن؛ لارتباطه بموعد وهو يكرر تهنئته لـ"مايكل" على عمله الرائع، وتوجه نحو الممشى وهو يسير بحذر، ولم يكن "مايكل جارفيلد" هو الشخص الوحيد الذي قدر له أن يلتقي به في الحديقة الغائرة ذلك اليوم. فلم يكد يصل إلى أحد أطراف الحديقة حتى توقف أمام ثلاثة ممرات تسلك طرقاً مختلفة، وعلى مدخل الممر الأوسط كانت تجلس على جذع شجرة مقطوعة طفلة في انتظاره، وأوضحت له ذلك في الحال قائلة:

– أعتقد أنك السيد "هركيول بوارو".. أليس كذلك؟ كان صوتها واضحاً وكانت مخلوقة هشة. قال "بوارو":

– هذا هو اسمي.

– جئت إلى هنا لأقابلك.. أنت مدعو لتناول الشاي معنا.. أليس كذلك؟

– مع السيدة "بتلر" والسيدة "أوليفر"؟ نعم.

– هذا صحيح.. هذه أمي والعمة "أريادن".. تأخرت بعض الشيء عن موعدك.

– أنا آسف.. توقفت لأتحدث مع أحد الأشخاص.

– نعم.. رأيتك. كنت تتحدث مع "مايكل"..

–هل تعرفينه؟

– بالتأكيد.. نحن نعيش هنا منذ فترة طويلة.. إنني أعرف الجميع.

فكر "بوارو": كم تبلغ الطفلة من العمر؟ وسألها فقالت:

– أنا في الثانية عشرة وسوف ألتحق بالمدرسة الداخلية في العام القادم.

– وهل تشعرين بالأسف أم بالسعادة؟

– لا أستطيع أن أحكم قبل أن أذهب إلى المدرسة.. أنا لا أحب هذا المكان كثيراً.. ليس كما كنت أحبه من قبل. الأفضل أن تذهب معي الآن.

– بالتأكيد.. أعتذر مرة أخرى لتأخيري.

– أوه.. لا أهمية لذلك في الواقع.

– ما اسمك؟

– "ميراندا"..

– أعتقد أنه اسم ملائم لك.

– هل تفكر في "شكسبير"؟

– نعم، هل تدرسينه في المدرسة؟

– نعم.. تقرأ علينا الآنسة "إيملين" بعض أعمال "شكسبير".. عالم جديد شجاع.. لا يوجد شيء شبيه بذلك. هل يوجد؟

– ألا تؤمنين بوجوده؟

– هل تؤمن أنت؟

– يوجد دائماً عالم جديد شجاع، ولكن بالنسبة إلى فئة خاصة من الناس المحظوظين..

– استدارت الفتاة نحو الممر قائلة: إنهما سيسلكانه؛ لأنه أقصر الطرق، وأشارت "ميراندا" إلى موضع قريب قائلة:

– في وسط هذا المكان كانت توجد نافورة. قال "بوارو" بدهشة: نافورة؟!

– نعم.. منذ سنوات طويلة.. أعتقد أنها لا تزال موجودة تحت الأعشاب والشجيرات.. تحطمت تماماً وأخذ الناس بعض أجزائها ولم يعتن أحد بإقامة نافورة جديدة.

– هذا أمر يبعث على الأسف.

– هل تحب النافورات؟ قال "بوارو" بالفرنسية:

– هذا يتوقف.. قالت "ميراندا":

– أعرف بعض الفرنسية..

– يبدو أنك متعلمة إلى درجة كبيرة.

– يقول الجميع إن الآنسة "إيملين" مدرسة ممتازة.. إنها ناظرة مدرستنا وهي سيدة صارمة للغاية، ولكنها تكون مسلية للغاية عندما تروي لنا بعض القصص.

– أنت تعرفين هذا المكان جيدا.. يبدو أنك تعرفين كل مسالكه.. هل تترددين عليه كثيراً؟

– أوه! نعم.. إنه واحد من الأماكن المحببة التي أتنزه فيها.. لا أحد يعرف مكاني عندما أكون هنا.. أجلس على الأغصان فوق الأشجار وأراقب الأشياء.. أراقب ما يجري حولي.

– ما الأشياء التي تراقبينها؟

– السناجب والطيور في الأغلب.. الطيور شديدة المشاكسة. أليس كذلك؟ لا تشبه ما يقال عنها في الأشعار.. كذلك أحب مراقبة السناجب.

– ألا تراقبين الناس؟

– أحياناً.. ولكن عدداً قليلاً من الناس يتردد على هذا المكان.. أعتقد أنهم يخافون. إنني أتعجب لماذا؟

– من أي شيء يخافون؟

– لأن شخصاً قتل هنا منذ زمن طويل.. قبل أن تنشأ الحديقة. كانت محجراً ثم تحولت إلى أرض صخرية فيها أكوام من الرمال حيث اكتشفوا الجثة.. هل تعتقد أن ما قاله القدماء صحيح.. ولد الإنسان ليشنق أو يغرق؟!

- لا أحد يشنق في هذه الأيام.. لا يحكم على أحد بالشنق في هذا البلد.

- ولكنهم يشنقون الناس في بعض البلاد الأخرى.. قرأت في الصحف أنهم يشنقونهم في الشوارع.

- هل تعتقدين أن هذا عمل طيب أم سيئ؟ أجابت "ميراندا" قائلة:

- "جويس" أغرقت.. لم تشأ أمي أن تخبرني ولكن ذلك كان سخفًا.. فأنا في الثانية عشرة.

- هل كانت "جويس" واحدة من صديقاتك؟

- نعم.. كانت من أحسن صديقاتي.. كانت تحكي لي قصصًا مسلية في بعض الأحيان.. عن "الهند" والمهراجات والفيلة.. سافرت مرة إلى "الهند".. كم أتمنى السفر إلى "الهند".. اعتدنا أنا و"جويس" أن يروي كلانا للآخر كل أسراره وليس لدي قصص كثيرة أحكيها مثل أمي التي سافرت إلى "اليونان"، هل تعلم أنها التقت بالعمة "أريادن" هناك؟ لكنها لم تأخذني معها في تلك الرحلة.

- من الذي أخبرك بما حدث لـ"جويس"؟

- السيدة "بيرغ" الطاهية.. كانت تتحدث إلى السيدة "ميندن" التي تحضر لتنظيف البيت.. قالت إن شخصًا ضغط على رأسها وأغرقها في إناء مملوء بالماء.

- هل لديك فكرة عن الشخص الذي فعل ذلك؟

- لا.. لا أظن أن أحدًا يعرف..

- ألا تعرفين أنت يا "ميراندا"؟

- لم أكن موجودة في الحفل.. كان عندي التهاب في الحلق، وارتفاع في درجة الحرارة وأبقتني أمي في المنزل؛ لأن "جويس" أغرقت. سألتك عما إذا كان الناس يولدون ليغرقوا.. سوف نمر بين تلك الأشجار. فكن على حذر من الأشواك. قالت "ميراندا" بزهو وهي تدخل البيت مع "بوارو":

- لقد أحضرته.. قالت السيدة "أوليفر":

- نسيت.. لم أقدمك إلى صديقتي السيدة "بتلر". قال "بوارو" إنها سبق أن قدمتها للتعارف عندما التقى بهما في مكتب البريد..

كانت "جوديث بتلر" في حوالي الخامسة والثلاثين من عمرها، وبينما كانت ابنتها تشبه حورية نحيلة من حوريات الغابة، كانت الأم تشبه حوريات الماء بشعرها الذهبي الطويل، وعينيها الخضراوين تغطيهما رموش طويلة. وقالت السيدة "بتلر":

- يجب أن أشكرك بحرارة يا سيد "بوارو"؛ لأنك استجبت لدعوة "أريادن" وجئت على وجه السرعة.. كانت واثقة بأنك ستصل إلى حل لغز تلك الجريمة الوحشية.. "ميراندا" يا حبيبتي.. أرجو أن تذهبي إلى المطبخ وتحضري الفطائر الموضوعة فوق الفرن.

اختفت "ميراندا" في الحال وعلى وجهها ابتسامة تقول إنها تعرف أن أمها تطلب منها الابتعاد فترة قصيرة، وقالت الأم:

- حاولت أن أخفي عنها الخبر المزعج.. ولكنها كانت محاولة مشؤومة منذ البداية. قال "بوارو" مؤمنًا:

- نعم.. ليس هناك أسرع انتشارًا من أخبار الفواجع.

- يبدو أن "جويس رينولدز" شاهدت بالفعل جريمة.. لا يكاد الإنسان يصدق ذلك.

- أتصدقين أن "جويس" لاحظت ذلك؟

- أعني لا أصدق أن ترى "جويس" شيئًا كهذا ولا تتحدث عنه في وقت مبكر.. ليس هذا من طباع "جويس". قال "بوارو":

- من الغريب هنا أن أول شيء يقوله لي كل فرد هنا إن "جويس" كانت كذوبة. قالت "جوديث بتلر":

- أعتقد أنه من المحتمل أن تخترع طفلة شيئًا ثم يتضح بعد ذلك أنه حقيقي. قال "بوارو":

- هذه هي نقطة البداية.. ليس هناك أدنى شك في أن "جويس" قُتلت.

تدخلت السيدة "أوليفر" في الحديث قائلة:

– طالما بدأت فربما كنت تعرف كل شيء..

– لاتطلبي مني المستحيل يا سيدتي .. أنت دائمًا تتعجلين الأمور. قالت السيدة "أوليفر":

– ولم لا؟ لا أحد يستطيع في هذا العصر أن يفعل شيئًا ما لم ينجزه بسرعة.

عادت "ميراندا" في تلك اللحظة تحمل طبقًا حافلاً بالفطائر وهي تقول:

– هل أضعها هنا؟ هل انتهيتم من الحديث الآن أم ترغبين في عودتي إلى المطبخ؛ لأحضر شيئًا آخر؟ كان في لهجتها رنين خبث لطيف، وتجاهلت أمها الرد متشاغلة بصب أقداح الشاي، وقالت "جوديث":

– تقابلنا أنا و"أريادن" في "اليونان". أضافت السيدة "أوليفر":

– سقطتُ في البحر في أثناء عودتنا من زيارة لإحدى الجزر بسبب استعجال البحارة لنا للنزول قبل أن يصل الزورق إلى الرصيف واستطاعت "جوديث" أن تنتشلني من الماء. فكان ذلك الرباط الذي جمع بيننا.. أليس كذلك؟

قالت السيدة "بتلر":

– بلى.. حقًا.. فضلاً عن أنني أعجبت باسمك.. "أريادن" اسم لطيف. تطرق الحديث بعد ذلك إلى الآنسة "إيملين" ثم إلى بعض قصص "اليونان" القديمة التي ترويها المدرسة لتلميذاتها، ومن بينها قصة "سيزيرا" التي تخلصت من عشيقها بدق المسامير في رأسه. وقالت "ميراندا" إنها أحبت تلك القصة. وسألها "بوارو":

– لو أن لك عدوًا هل تتخلصين منه بهذه الطريقة؟ قالت "ميراندا":

– كلا.. لا أفكر في دق مسامير في رأسه في أثناء نومه؛ لأنني لا أحب أن أتسبب في الألم لأحد.. يكفي أن أدس له السم في الشراب ليظل غائبًا عن الوعي حتى يموت..

رفعت "ميراندا" بعض أقداح الشاي قائلة لأمها إنها ستغسلها في المطبخ. خرجت الطفلة وهي تحمل الصينية بعناية. وقالت السيدة "أوليفر":

– "ميراندا" طفلة رائعة.. وقال "بوارو" للأم:

– لديك طفلة بارعة الحسن يا سيدتي.

– نعم هي جميلة الآن.. ولكن من يدري كيف سيكون شكلها عندما تكبر؟

سألها "بوارو" بحذر:

– لا عجب أن يراها الإنسان مولعة بحديقة المحجر المجاورة للبيت.

– كنت أتمنى لو أنها لم تكن لتحبها إلى هذا الحد.. يشعر الإنسان بالقلق على الأشخاص الذين يسيرون وحدهم في المناطق المنعزلة حتى ولو كانوا قريبين من القرى والناس.. لهذا يجب أن تكشف عن سر مقتل "جويس" يا سيد "بوارو"؛ لأننا لن ننعم بالراحة قبل الشعور بالأمان نحو أطفالنا..

طلبت السيدة "بتلر" من صديقتها أن ترافق الضيف إلى الحديقة على أن تلحق بهما بعد قليل، وعندما صارت السيدة "أوليفر" مع "بوارو" وحدهما سألته عن رأيه في "جوديث"، قال "بوارو":

– إنها سيدة محبوبة للغاية.. جميلة.. جذابة، ولكن شيئًا خطيرًا يشغل بالها.. هل كنت تعرفينها قبل الرحلة البحرية إلى "اليونان"؟

– كلا..

– ولكنك تعرفين بعض أسرارها؟

– فقط الأشياء العادية.. أرملة مات زوجها منذ سنوات طويلة.. كان طيارًا ولقي حتفه في حادث سيارة وتركها في موقف مالي دقيق.

– هل "ميراندا" هي ابنتها الوحيدة؟

– نعم.. تقوم "جوديث" بأداء أعمال السكرتارية بعض الوقت وليست لها وظيفة دائمة.

– هل كانت تعرف سكان قصر المحجر؟

– هل تعني العقيد والسيدة "ويستون"؟

– أعني المالكة السابقة.. السيدة "لليوين سمايث".. أليس هذا هو اسمها؟

– أعتقد هذا.. سمعتهم يذكرون ذلك الاسم. ولكنها ماتت منذ عامين أو

ثلاثة. لهذا لم يعد أحد يتحدث عنها.. ألا تكفيك سيرة الأحياء؟ قال "بوارو" بحزم:

– كلا بالتأكيد.. يجب أن أستفسر كذلك عن الذين ماتوا والذين اختفوا من المسرح.

– من الذي اختفى؟

– فتاة الأوبرا..

– فتيات الأوبرا يختفين دائمًا؛ لأنهن يتقاضين الثمن ويذهبن وهن حوامل إلى المستشفيات ليضعن أطفالهن، أو يذهبن ليتزوجن شخصًا، أو يجرين وراء شبان يحببنهم.. أو يفعلن ما يعرضهن للقتل.

– هدئي من روعك يا سيدتي.. ليس هناك سبب يدفعنا إلى اعتقاد أن فتاة الأوبرا قد قتلت.. ربما كان العكس.

– ما الذي تعنيه بالعكس؟ لا يبدو كلامك منطقيًا.

– ربما كان الأمر كما تقولين ومع هذا. أخرج "بوارو" من جيبه دفتر المذكرات وكتب شيئًا. وسألته السيدة "أوليفر" عما كتبه. قال:

– بعض الأحداث التي وقعت في الماضي.

– يبدو أنك مصر على التعلق بأهداب الماضي. قال "بوارو":

– لأن الماضي هو أبو الحاضر. قدم لها الدفتر طالبًا منها أن تلقي نظرة على ما سجله. وقرأت السيدة "أوليفر":

وفيات مثل: السيدة "لليوين سمايث" (غنية). و "جانيت هوايت" (مدرسة)، كاتب محامٍ (مات مطعونًا بسكين) محاكمة سابقة للتزوير. وكتب أسفل ذلك: "اختفاء فتاة الأوبرا". سألت السيدة "أوليفر":

– أي فتاة أوبرا؟

– ذلك هو التعبير الذي ذكره صديقي المفتش "سبنس".

– ولماذا اختفت الفتاة؟

– لأنها كانت ستقدم للمحاكمة بسبب تزوير وصية لصالحها. سألت السيدة

"أوليفر": تحت تأثير ضاغط؟

– التزوير شيء أخطر من التأثير. وما دخل ذلك بمقتل "جويس"؟ سكت "بوارو" وألقت السيدة "أوليفر" نظرة على دفتر المذكرات. وقالت:

– إنها لا تستطيع قراءة الكلمة التالية. وقال "بوارو":

– الأفيال. سألته عما تعنيه الكلمة، وقال إنها قد لا تعني شيئًا وقد يكون لها معنى. وقف "بوارو" قائلاً:

– إن لديه موعدًا في مكتب المحامي وطلب تبليغ اعتذاره للسيدة "بتلر"، ثم قال:

– اطلبي منها أن تعتني بطفلتها. سألته السيدة "أوليفر" عما سيفعله في مكتب المحامي، قال: إنه يريد التحدث عن الوصية المزورة ثم يتحدث بعد ذلك مع بعض الأشخاص الذين حضروا فترة الإعداد قبل بدء الحفل.

- 8 -

لم يبق في مكتب المحامين أحد من سلالة "هاريسون أوليد بيتر"، وإنما هناك السيد "إتكنسون" والسيد "كول"، وبقي الشريك العجوز السيد "جريمي فولرتون"، وهو رجل نحيل هادئ الصوت تشع عيناه بالذكاء. وضع يده على الورقة أمامه ثم رفع عينيه لينظر إلى الرجل صاحب البطاقة قائلاً:

– السيد "هركيول بوارو"؟

تأمل العجوز زائره وهو يفكر في ذلك الغريب الذي جاءه بتوصية من المفتش "هنري رجلان" ورجل الشرطة السابق المفتش "سبنس" الذي خدم في "اسكتلانديارد"، وكان "فولرتون" يعرف المفتش "سبنس" ويقدره.. وعبرت ذهنه بعض الذكريات عن قضية ابن أخيه المحامي الشاب الذي وجهت إليه تهمة جريمة القتل وكانت كل الأدلة ضده، ولكن "سبنس" بمساعدة مخبر بلجيكي كان يعمل بالشرطة وتقاعد، استطاعا أن يثبتا براءة ابن أخيه.. وفكر "فولرتون": بماذا

أستطيع أن أعاون في قضية مقتل طفلة؟ قال **"فولرتون"** بعد فترة غير قصيرة من الصمت:

-- السيد **"هركيول بوارو"**.. ما الذي أستطيع أن أقدمه لك؟ لا أدري كيف أستطيع معاونتك في حادث مقتل تلك الطفلة التعسة.. لا أكاد أعرف شيئًا عن هذا الموضوع.

- بل تعرف، على ما أعتقد كنت المستشار القانوني لعائلة **"دريك"**.

- أوه! نعم **"هيجو دريك"**.. الفتى البائس كان لطيفًا للغاية وقد عرفته سنوات طويلة.. منذ اشتروا "أبل تريز" وجاءوا للإقامة هنا. أصيب بالكساح في أثناء قيامه برحلة إلى الخارج واعتلت صحته بعد عودته.. من المؤسف أن يحدث ذلك لرجل يعشق الرياضة. فهو رياضي طول حياته..

- ألم تكن كذلك المستشار القانوني للسيدة **"لليوين سمايث"**؟

- عمته.. نعم.. كانت سيدة رائعة.. جاءت لتقيم هنا بعد أن اعتلت صحتها لتكون بالقرب من ابن أخيها وزوجته. اشترت قصر المحجر ودفعت فيه أكثر مما يستحق ولكن المال لم يكن عقبة بالنسبة إليها. استأجرت مهندسًا بارعًا ليحيل المحجر إلى حديقة رائعة.. شاب من أصحاب الشعر الطويل ولكنه كفء في عمله.. أنجز عملاً رائعًا.. كانت السيدة **"لليوين"** تعرف كيف تختار الناس، ولكنني مندهش؛ لأنها ماتت منذ حوالي العامين.

- ماتت فجأة.

- حسن.. كلا.. لا أستطيع أن أقول ذلك؛ لأنها كانت مريضة بالقلب ونصحها الأطباء بالابتعاد عن الأعمال المجهدة. ولكنها كانت سيدة عنيدة.. ألسنا نخرج عن الموضوع الذي جئت من أجله؟

- ليس تمامًا.. أحب أن أسألك عن بعض موظفيك.. أعني **"ليزلي فيرييه"**.

فوجئ المحامي بالسؤال فقال:

- كدت أنسى هذا الاسم.. نعم.. الشاب الذي قتل بطعنة سكين أليس كذلك؟

- بلى، هذا هو الشخص الذي أعنيه.

- الذي أعرفه أن شخصًا طعنه بسكين بالقرب من المشرب ذات ليلة.. لم يقبض على أحد؛ لأن الشرطة لم تستطع أن تقيم الدليل ضد أحد.

- هل كان الدافع للقتل بسبب العاطفة؟

- أوه! نعم.. أعتقد هذا.. الغيرة.. كان على علاقة بسيدة متزوجة ويمتلك زوجها مشربًا.. أشيع أنه بدأ يقيم علاقة مع شابة أخرى وحدثت له بعض المتاعب.

- هل كنت كرئيس راضيًا عن عمله؟

- كان عمله مرضيًا.. يحسن معاملة العملاء ويعرف عمله جيدا، ولو انصرف قليلاً عن النساء لتميز أكثر في عمله.. لقي مصرعه ذات ليلة وهو عائد إلى منزله من المشرب.

- هل تعتقد أن إحدى الفتيات هي التي فعلت ذلك أم زوجة صاحب المشرب؟

- لا أستطيع أن أجزم بشيء.. ولكن غضب المرأة يكون شديداً عندما تعامل باحتقار.. كان شابًا من أسرة طيبة ولكنه خالط بعض الأشرار.. حذرته أكثر من مرة ولكن يبدو أن الفساد يتزايد في المجتمع.

- ألم يشاهد الجريمة أحد؟

- لا أحد على الإطلاق.. لابد أن الجاني رتب لجريمته بعناية.

- ومع هذا قد يكون هناك شخص رأى الحادث بالمصادفة.. طفل مثلاً؟

- في ساعة متأخرة من الليل؟ هذا أمر مستبعد يا سيد **"بوارو"**.. هل تسمح لي أن أسألك: ما الذي يهمك من مصرع **"ليزلي فيرييه"**؟

- لا أعرف عنه شيئًا، وأريد أن أعرف؛ لأن مقتله حدث منذ بضع سنوات وقد يكون ذلك مهما بالنسبة إليّ.

- لا أرى أي ارتباط بين مقتل **"ليزلي فيرييه"** و **"جويس رينولدز"**.

- يجب أن يشك الإنسان في أي شيء.. يجب أن يحصل على كل المعلومات الممكنة.

– التحقيق في الجريمة يحتاج إلى الدليل.

– ربما تكون قد سمعت أن الطفلة الراحلة قالت على مسمع من البعض إنها شاهدت جريمة ترتكب. قال "فولرتون" بدهشة:

– سمع الإنسان الكثير من الإشاعات في مكان كهذا وعندما يروي ما سمعه يبالغ كثيرا.

– هذا صحيح تمامًا.. كانت "جويس" في الثالثة عشرة وتستطيع طفلة في التاسعة أن تتذكر شيئًا رأته منذ زمن كحادث سيارة تصدم إنسانًا وتهرب.. معركة دارت في الظلام استخدمت فيها الخناجر.. كل هذه الأشياء تترك انطباعًا شديدًا في ذهن الطفل عن أشياء رآها لم يكن واثقًا بها ولم يكن باستطاعته أن يحدث أحدًا بشأنها، ولكنه يحتفظ بالذكرى حتى يحدث شيء جديد يذكّره بالماضي.. هل توافقني على أن هذا أمر محتمل؟

– أوه! نعم.. ولكنه افتراض بعيد..

–هل تذكر كذلك اختفاء فتاة أجنبية؟ أعتقد أن اسمها كان "أولجا".. "سونيا".. لا أذكره تمامًا.

– "أولجا سيمينوف".. نعم..

– لا أظن أنها كانت على خلق..

– نعم.

– كانت تعمل ممرضة مقيمة مع السيدة "لليوين سمايث" التي كنا نتحدث عنها الآن.. عمة السيدة "دريك"

–نعم.. استخدمت قبل ذلك أكثر من فتاة أجنبية..واختلفت مع إحداهن بعد التحاقها بالعمل مباشرة، وكانت الثانية بالغة الغباء.. وجاءت "أولجا" في النهاية، وأذكر أنها لم تكن شديدة الجاذبية.. وأذكر أن السيدة "لليوين" قالت عنها إنها قصيرة تميل إلى السمنة، وإن الجيران لا يحبونها.

– ولكن السيدة "لليوين" أحبتها؟

– أصبحت مولعة بها أشد الولع بشكل غير حكيم كما كان يبدو في ذلك الوقت.

– فهمت أن السيدة "لليوين" تركت جانبًا كبيرًا من ثروتها لتلك الفتاة.

– كان ذلك شيئًا غريبًا؛ لأن السيدة "لليوين سمايث" لم تغير النص الرئيسي للوصية لأعوام طويلة فيما عدا إضافة بعض المبالغ الصغيرة للأعمال الخيرية وكان القدر الأكبر يذهب في كل مرة إلى ابن أخيها: "هيجو دريك" وزوجته.. وإذا مات أحدهما آل نصيبه إلى الآخر.. وكان آخر تعديل للوصية قبل وفاتها بثلاثة أسابيع ولم يتم عن طريق مكتبنا.. كان التعديل مضافًا بخط يدها. وتضمن التبرع ببعض المال للأعمال الخيرية ولم يكن كبيرًا كما كان يحدث في المرات السابقة، ولم تترك في الوصية الجديدة شيئًا على الإطلاق للخدم، وأوصت بالجانب الأكبر من ثروتها لـ"أولجا سيمينوف" كرمز عرفان وتقدير لتفانيها في خدمتها والحب الشديد الذي أظهرته لها.. كان ذلك أمرًا شديد الغرابة لا يمت بصلة إلى تصرفات السيدة "لليوين سمايث" ولم يسبق حدوثه من قبل.

– ما الذي حدث بعد ذلك؟

– لاشك في أنك سمعت التطورات التي أعقبت ذلك واكتشاف خبراء الخط أن الوصية المعدلة مزورة تمامًا.. وأن الخط كان قريب الشبه بخط السيدة "لليوين سمايث" ولا شيء أكثر من ذلك.. كانت السيدة "سمايث" تكره الكتابة على الآلة الكاتبة وتكلف "أولجا" بكتابة خطاباتها الشخصية مع محاكاة خطها بقدر المستطاع، والتوقيع بإمضائها في بعض الأحيان.. تدربت "أولجا" على ذلك كثيرًا ويبدو أنها تمادت في أعقاب وفاة مخدومتها فقلدت خطها في الوصية المعدلة، ولكن هذه الخدعة لم تنطل على الخبراء.

– هل كانت الإجراءات القانونية تتخذ لإثبات تزوير الوصية؟

– تمامًا.. ولكن أعصاب الفتاة لم تتحمل وكما ذكرت اختفت من الوجود. عندما غادر "بوارو" المكتب أخذ "فولرتون" ينقر على المكتب بأصابعه مستسلمًا لذكريات الماضي.. على نفس هذا المقعد منذ بضع سنوات جاءته "أولجا"؛ لتجلس بوجهها الشاحب، وعينيها اللتين تعبران عن المتاعب التي قاستها، متوسلة إليه أن يتبنى قضيتها، وأفهمها أنه المستشار القانوني لعائلة "دريك"، وأنه يقف بجانب

الأسرة، وأعرب عن دهشته مستبعداً صحة الوصية، متسائلاً عن السبب الذي يدفع السيدة "لليوين" لتترك معظم ثروتها لامرأة غريبة وحرمان ابن أخيها وزوجته من نصيبهما، وقالت "أولجا" :

ـ كانت تحبني بينما تكره السيد "دريك". وعندما قال لها إنه يعرف مدى حب العجوز لابن أخيها قالت:

ـ ربما كانت تحبه، ولكنها تكره السيدة "دريك".

دافع المحامي عن السيدة "دريك" قائلاً إنها امرأة مستقيمة، وإنها كانت تريد من العجوز تنفيذ تعليمات الأطباء بالامتناع عن بعض الأطعمة الضارة، وتناول الأدوية التي يوصي بها الطبيب في المواعيد المحددة. وقالت "أولجا" :

ـ الناس لا يحبون إطاعة أوامر الأطباء، ولا يرغبون من أقاربهم التدخل في شؤون حياتهم.. هم يحبون أن يعيشوا كما يحلو لهم، وأن يفعلوا ما يروقهم.. كان لديها الكثير من المال وتستطيع أن تحصل على كل ما تريد.. وكان للسيد "دريك" وزوجته بيت ودخل يكفيهما.. لديهما الشباب وسيارتان فلماذا يريدان المزيد؟ قال "فولرتون":

ـ إنهما الأقارب الوحيدون على قيد الحياة. قالت "أولجا" بإصرار:

ـ كانت تعطف عليّ وكانت ترغب في أن تترك لي كل شيء.. كانت تعرف قصتي.. قبض رجال الشرطة في وطني على أبي ولم نره بعد ذلك قط، ثم ماتت أمي ومات كل أقاربي.. أنت لا تعرف شكل الحياة في دولة بوليسية.. أنت تقف بجانب الشرطة.. لا تريد أن تقف في صفي.. قال المحامي إنه يأسف للمتاعب التي جلبتها على نفسها. وانفجرت الفتاة قائلة:

ـ ما الذي فعلته؟ كنت عطوفًا فيها.. أحضر لها الأطعمة التي تشتهيها والشوكولاتة والزبد.. كانت تحب الزبد وتطالبني بالمزيد.. لهذا أحبتني وتركت لي كل ثروتها.. يقولون إنني أثّرت فيها ويقولون ما هو أسوأ.. ولكنها هي التي كتبت الوصية المعدلة بخط يدها وأخرجتني من الحجرة قائلة إن الذي سيوقع على الوصية كشاهدين الخادمة و"جيم" البستاني..

فكر "فولرتون" في الجدل الطويل الذي دار بينه وبين "أولجا" وهي تدافع عن نفسها وتنفي أنها كاتبة الوصية المعدلة.. فكر في أن الفتاة لو كانت أقل طمعاً وكتبت لنفسها قدراً معقولاً من المال، فربما أعرب الورثة عن استيائهم وقنعوا في النهاية بنصيبهم.. تذكر المحامي إحساسه بالشفقة والعطف على الفتاة التي لقيت ألواناً شتى من العذاب منذ طفولتها، وتذكر الدموع في عينيها وهي تقول:

ـ الجميع يقفون ضدي؛ لأنني أجنبية غريبة لا أنتمي إلى هذا البلد؛ لأنني لا أعرف ماذا أقول أو أفعل.. لماذا لا تقول لي ما يجب عليّ أن أفعله؟

ـ لأنني لا أجد لك شيئًا تفعلينه سوى الانسحاب من الميدان أو ذكر الحقيقة.. وفي هذه الحالة قد تحصلين على حكم مخفف أو توضعين لفترة تحت المراقبة.

ـ كلام.. سوف يضعونني في السجن ولن أخرج منه أبدا. الأفضل لي أن أهرب وأختفي عن الأنظار.. حاول المحامي أن يلفت نظرها إلى صعوبة الهروب فقالت:

ـ لدي قدر كاف من المال استطعت أن أوفره.. سوف أهرب وأعثر على من يساعدني.. سوف أختفي في مكان حيث لا يعثر عليّ أحد. تذكر "فولرتون" كل ما حدث.. اختفت "أولجا" ولم يعثر عليها أحد.. تعجب "فولرتون" وهو يسأل: أين هي الآن؟ وهل وقعت في مأزق جديد؟

- 9 -

وصل "بوارو" إلى منزل "آبل تريز" وقادته الخادمة إلى غرفة الاستقبال قائلة له إن السيدة "دريك" لن تتأخر طويلاً، وبينما كان يجتاز الصالة سمع أصوات سيدات كثيرات داخل غرفة المائدة. تطلع من نافذة الحجرة إلى الحديقة الحافلة بالورد والأشجار، وتساءل عما إذا كانت السيدة "دريك" تستعين بخبرة "مايكل جارفيلد"، وفتح الباب، وبعد قليل دخلت السيدة "دريك" معتذرة

عن تأخرها، قائلة : إنها كانت تحضر اجتماعًا لجمعية الكنيسة بشأن حفل عيد الميلاد الذي يتم الاستعداد له في وقت مبكر.. كانت لهجتها تعكس رغبتها في السيطرة واعتزازها بتوجيه هذا المجتمع الصغير الوجهة التي تريدها ثم قالت :

– على أي حال إنهن قد انصرفن.. والآن ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك؟ شيء آخر بخصوص الحفل الفظيع؟ كنت أتمنى ألا يقام الحفل في بيتي ولكنه المكان الوحيد الذي يصلح لهذا الغرض.. ألا تزال السيدة "أوليفر" باقية مع "جوديث بتلر"؟

– نعم.. سوف تعود إلى "لندن" في خلال يوم أو يومين.. هل التقيت بها من قبل؟

– كلا.. ولكنني أحب رواياتها.. كاتبة مُجيدة ولا شك.. هل لديها فكرة عمن ارتكب ذلك العمل البشع؟

– لا أظن.. وأنت يا سيدتي؟

– قلت لك من قبل ليست لدي أية فكرة.

– ربما تقولين هذا ولكنك في نفس الوقت تحتفظين لنفسك برأي معين.

– لماذا تظن ذلك؟

– ربما تكونين رأيت شيئًا.. شيئًا صغيرًا لا أهمية له ولكنك بعد إمعان الفكر ترين له معنى آخر.

– هذا يعني يا سيد "بوارو" أن في رأسك أفكارًا معينة.

– أعترف بذلك بسبب حديث سمعته من أحد الأشخاص.

– حقًا! ومن يكون ذلك الشخص؟

– الآنسة "هويتاكر".. المدرسة.

– أوه نعم! "إليزابيث هويتاكر" مدرسة الحساب. كانت موجودة في الحفل.. هل رأت شيئًا؟

– لم تر شيئًا ولكنها تعتقد أنك أنت التي رأيت شيئًا.

– لا أذكر أنني رأيت شيئًا ولكن من يدري!

– تحدثت عن زهرية..

– الزهرية؟ آه تذكرت! زهرية كبيرة من الزجاج كانت تضم مجموعة من الورد وكانت موضوعة فوق ركن السلم ولاحظت ذبول الورد، صعدت واكتشفت أن الخادمة التي وضعت الزهور نسيت أن تملأها بالماء.. ذهبت إلى الحمام وملأتها بالماء ولكنها لسوء الحظ سقطت من يدي وتحطمت.. كانت إحدى هدايا زفافي.. كان ذلك إهمالاً مني.. لم أر "إليزابيث هويتاكر" قبل تحطم الزهرية وقد ساعدتني في تنظيف المكان حتى لا يتعثر فيه أحد.. سكتت برهة وهي تطيل النظر إلى "بوارو". ثم قالت :

– أكان هذا هو الحادث الذي تعنيه؟

– نعم.. ولكن الآنسة "هويتاكر" تعتقد أنك رأيت شيئًا أفزعك وتسبب في سقوط الزهرية. قالت السيدة "دريك" بحدة :

– شيء أفزعني؟! كلا.. لا أظن أن شيئًا أفزعني.. كل ما في الأمر أنني كنت مجهدة من فرط الجهد الذي بذلته في الحفل.. وعندما يكون الإنسان متعبًا فإنه يرتكب مثل هذه الأفعال السخيفة.

– هل أنت واثقة بأنك لم تري شيئًا أفزعك.. شيئًا غير متوقع؟

– أين؟

– أسفل في الصالة؟

– لم أر شيئًا في الصالة، كانت الصالة خالية؛ لانشغال الجميع في لعبة العتب. لم يكن في الصالة سوى الآنسة "هويتاكر" ولم أنتبه لوجودها حتى خفت لمساعدتي.

– ألم تري أحدًا يخرج من باب المكتبة؟

– باب المكتبة.. آه! فهمت ما تعنيه.. نعم ربما كوني رأيت الباب.. ترددت برهة ثم استرسلت تقول :

– لم أر أحدًا يخرج من باب المكتبة.. لا أحد على الإطلاق.

خيل إلى "بوارو" أنها لا تذكر الحقيقة، وتساءل: لماذا تنكر بهذا الإصرار؟ هل رأت شخصًا له صلة بالجريمة التي ارتكبت في الجانب الآخر من الباب؟ شخص يهمها أمره أو ترغب في حمايته.. أو لعله مراهق تجاوز مرحلة الطفولة وعلى الرغم من أنها شخصية صارمة إلا أنها تضعف أمام الرغبة في حماية طفل تلتمس له بعض العذر بسبب الظروف العائلية أو إهمال رعاية الوالدين له.. لم يكن "بوارو" يوافقها على هذا الضعف، فهو يفكر في العدالة، العدالة قبل الرحمة، وقال "بوارو" بعد طول تفكير:

– فهمت.. فهمت.

– ألا تعتقد أن الآنسة "هويتاكر" قد تكون هي التي رأت شخصًا في المكتبة؟ هذا مجرد احتمال.. قد تكون شاهدت شخصًا لم تتبين ملامحه ولا تريد أن تقطع في ذلك برأي.

– هل تعتقدين أنه ربما كان مجرد طفل أو طفلة أو مراهقًا صغيرًا؟

– أرجح ذلك.. فمعظم الجرائم التي ترتكب اليوم تقترن عادة بالصغار.. أشخاص لا يدركون حقيقة ما يفعلونه.. ربما انتقامًا لشيء تافه أو لمجرد الرغبة في التحطيم. مثل الأطفال الذين يحطمون أكشاك التليفونات، ويفرغون إطارات السيارات.. لا يقصدون إنسانًا بعينه وإنما هي مجرد الرغبة في الانتقام من المجتمع ككل.

– أعتقد أن رجال الشرطة يشتركون معك في هذا الرأي.. أو بمعنى أصح كانوا يعتقدون ذلك.

– لابد لهم من أن يعرفوا الحقيقة.. فهم رجال أكْفاء وسوف يتوصلون إلى حل لغز هذه الجريمة وإن كان من المحتمل أن يستغرق ذلك وقتًا طويلاً.

– لن يكون من السهل العثور على دليل يا سيدتي.

– نعم.. لن يكون ذلك سهلاً.. عندما قتل زوجي.. كان مشلولاً ودهمته سيارة مسرعة وهو يعبر الطريق. لم يعثروا على الجاني.. وجهت اللوم لنفسي.. ولكنه كان لا يحب أن يكون تحت رعاية أحد.

– هل وقع الحادث بعد موت عمتك؟

– كلا.. ماتت بعد الحادث بقليل.. يبدو أن جميع الأحداث تجيء مفاجئة.

– ولم يستطع رجال الشرطة القبض على الجاني؟

– ثبت أن السيارة مسروقة وكان شابان يقودانها. أما صاحبها فقد كان معروفًا بحسن الخلق وقيادة سيارته ببطء.. يجب معاملة الشبان المستهترين بقسوة. قال "بوارو" بهدوء:

– تعنين الحكم عليهم بالسجن مددا طويلة؟ قالت "روينا دريك" بانفعال:

– يجب ألا ننسى أن هؤلاء الشبان يكونون في مقتبل حياتهم ويحتاجون إلى إتمام دراستهم ومنحهم الفرصة لكي يحيوا حياة طيبة.

– سمعت هذا الكلام من رجال مفروض أنهم أكاديميون ويشغلون مناصب كبيرة.

– إنهم يعطفون على الشباب؛ بسبب سوء التربية المنزلية، أو انهيار الأسرة.

سأل "بوارو" باهتمام:

– إذن فمن رأيي أنهم يحتاجون إلى شيء آخر غير السجن؟

– العلاج السليم..

– يجب أن نتقبل الحقائق.. ومن بين الحقائق التي يقررها علماء الأحياء أن تصرفات الإنسان ترجع إلى التكوين المبدئي للجينات. فالقاتل في سن الرابعة والعشرين كان قاتلاً محتملاً في سن الثالثة أو الرابعة.. وكذلك الحال بالنسبة إلى عالم الرياضيات والموسيقي الموهوب. قالت السيدة "دريك" باستياء:

– نحن لا نناقش موضوع المجرمين.. كان موت زوجي في حادث طريق.. حادث تسبب فيه إهمال شاب.. لو أننا علمنا الشباب كيف يفكرون في الآخرين وما تتعرض له حياتهم من المخاطر لتجنبنا الكثير من الآلام، خصوصًا إذا لم يتوفر لديهم القصد الجنائي.

– هل أنت واثقة بأن القصد الجنائي لم يكن متوافرًا؟

– أشك في ذلك ولا أظن بأن رجال الشرطة فكروا في هذا الاحتمال.. أنا

شخصياً لا أعتقد.. كان مجرد حادث.. حادث مؤسف غيّر مصير الكثيرين وأنا واحدة منهم. قال "بوارو" باسماً:

– تقولين إننا لا نناقش المجرمين، ولكننا في مقتل "جويس" لابد من مناقشة الموضوع باعتباره عملاً إجرامياً توافر فيه القصد الجنائي.

– أعرف ذلك.. شيء فظيع لا أحب أن أفكر فيه ولا أن يذكرني به أحد.

وقفت السيدة "دريك" بعصبية، واسترسل "بوارو" قائلاً:

– يبقى أمامنا اختيار آخر.. يجب أن نبحث عن الدافع.

– يبدو لي أنه لا يوجد دافع في هذه الجريمة.

– تعنين أن القاتل مختل العقل إلى الدرجة التي يقتل فيها لمجرد إشباع الرغبة في القتل؟

– نسمع كثيراً عن مثل هذه الحالات ويصعب معرفة الدافع.. حتى علماء النفس يعترفون بهذا.

– هل ترفضين قبول التفسير الأيسر؟ بدت الحيرة على وجهها وهي تقول:

– الأيسر؟!

– ارتكب الجريمة شخص ليس مختلاً عقلياً، إنسان ربما كان يريد الأمان.

– الأمان؟ ماذا تعني؟

– بالغت الفتاة في ذلك اليوم قائلة إنها شاهدت جريمة قتل ترتكب.

– كانت "جويس" فتاة حمقاء.. لم تكن تقول الصدق دائماً.

– هكذا يقول الجميع. وقد بدأت أقتنع بأن ما يجمع عليه الناس لابد أن يكون صحيحاً.. وقف "بوارو" وغيّر لهجته قائلاً:

– أعتذر لك يا سيدتي.. فقد تحدثت في موضوع يسبب لك الألم.. ولكن بدا لي مما قالته الآنسة "هويتاكر"...

– لماذا لا تسعى إلى الحصول على المزيد منها؟

– هل تعنين؟

– هي مدرسة وتعلم أكثر مني الأشخاص المحتمل أن يرتكب أحدهم مثل هذه

الجريمة.. فهم تلاميذها. سكتت السيدة "دريك" برهة ثم أردفت تقول:

– كذلك تستطيع أن تسأل الآنسة "إملين" أيضاً. قال "بوارو" بدهشة: ناظرة المدرسة؟!

– نعم.. فهي تعرف الكثير.. أعني أنها عالمة نفسية بالطبيعة..

– هذه فكرة مثيرة.

– لا أعني أن لديها الدليل ولكنني أعني أنها تعرف ولكنها لا تستطيع أن تتكلم.

– بدأت أفهم.. سمعت أن السيدة "لليوين سمايث" كانت تستخدم إحدى فتيات الأوبرا.. فتاة أجنبية.

– يبدو أنك استمعت إلى كل الشائعات المحلية.. نعم وتركت الفتاة المكان فجأة بعد موت عمتي.

– لابد أنها فعلت ذلك لأسباب قوية.

– قيل إنها زورت وصية لعمتي أو أن شخصاً ساعدها على ذلك.

– أي شخص؟

– كانت على علاقة بشاب يعمل في مكتب أحد المحامين في "مانشستر".. وسبق اتهامه في جريمة تزوير، ولكن القضية لم تقدم للمحكمة؛ لأن الفتاة اختفت خوفاً من مثولها أمام القضاء.. ولم يظهر لها أثر منذ ذلك الحين.

– سمعت كذلك أنها جاءت هي أيضاً من بيت منهار.

نظرت إليه "روينا دريك" بحدة ولكنها ظلت تبتسم ابتسامة ودودا، وقال "بوارو":

– أقدم لك وافر الشكر على ما أخبرتني به يا سيدتي..

غادر "بوارو" المنزل وانحرف في الطريق الرئيسي إلى طريق جانبي عليه لافتة تشير إلى أنه يؤدي إلى مقبرة "هيلسبي".. لم يستغرق الوصول إلى المقبرة أكثر من عشر دقائق، وكان من الواضح أنها مقبرة حديثة لا يزيد عمرها على عشر سنوات، وأقيمت المقبرة بالقرب من الكنيسة التي أنشئت منذ قرنين أو ثلاثة قرون.. تطلع

"**بوارو**" إلى شواهد القبور ولم يجد عليها العبارات القديمة المألوفة، وتوقف أمام شاهد قبر كتب عليه:

تكريما لذكرى "**هيجو دريك**"، الزوج المحبوب لـ "**روينا دريك**" الذي رحل عن هذا العالم.. إنه يرقد رقدة الراحة.. خطر ببال "**بوارو**" أن "**هيجو دريك**" يرقد بالفعل في راحة بعيداً عن زوجته "**روينا**".. رأى بالقرب من القبر إصيصًا من الرخام فيه بقايا ورد، ورأى حارس القبور يقترب منه وسأله:

– أغريب أنت عن المكان؟ قال "**بوارو**": نعم.. هذا صحيح..

– كان السيد "**دريك**" رجلاً طيبًا.. كان عنده شلل الأطفال.. لم يكن يشكو على الرغم من قسوة المرض عليه وقد عاش طوال عمره يعشق الرياضة.

– مات في حادث.. أليس كذلك؟

– نعم.. كان يعبر الطريق وصدمته سيارة يركبها شابان من أولئك الذين يطلقون لحاهم حتى الأذنين.. لم تكن سيارتهما وإنما اختطفاها من الموقف.. فظيع أمر شبان اليوم ورجال الشرطة لا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا.. كانت زوجته مولعة به. وكان وقع الحادث عليها شديداً.. إنها تأتي هنا كل أسبوع وتحضر له الزهور.. كانا زوجين متحابين.. ولو أنك سألتني لقلت لك إنها لن تبقى هنا طويلاً.

– حقًا؟ ولكنها تملك بيتًا جميلاً..

– نعم.. ولديها في القرية الكثير من العمال.. معاهد السيدات وحفلات الشاي والجمعيات.. إنها تدير الكثير من الأعمال. وتقود عددًا كبيراً من سكان هذا المجتمع.. محبة للرئاسة والتدخل في شؤون الناس، ولكن راعي الكنيسة يعتمد عليها؛ لأنها تباشر كل الأنشطة وتنظم الرحلات. لا أخفي عليك أنني لا أحب هذا الطراز الذي يتدخل في كل الأمور ويشير عليك بأن تفعل كذا وأن تترك كذا..

– لاتعطيك الحرية.. لم يعد الإنسان يتمتع بقدر كبير من الحرية في هذا العصر.

– هل تعتقد حقًا أن السيدة "**دريك**" سوف تترك هذا المكان؟

– لن يدهشني أن تتركه لتعيش في الخارج.. كانت هي وزوجها يحبان السفر إلى الخارج واعتادا السفر في الإجازات.

– لماذا تعتقد أنها ترغب في الرحيل؟ احمرّ وجه العجوز وهو يقول مبتسمًا:

– حسن.. لقد أنجزت هنا كل ما كانت تريد أن تفعله.. وهي تحتاج الآن إلى حقل جديد تعمل فيه.. تحتاج إلى مزيد من العمل.. فعلت هنا كل ما يحتاج إليه المكان وربما أكثر مما يحتاج إليه.

– تعني أنها تحتاج إلى ميدان جديد للعمل؟

– هذا هو التعبير الصحيح.. هي تحتاج إلى مكان آخر تستقر فيه وتبدأ سلسلة جديدة من الأعمال والتدخل في شؤون قوم آخرين.. لم يعد لها زوج ترعاه.. عندما كان حيًا كان لها هدف في الحياة.. وهي من الطراز الذي يحب أن يشغل نفسه طول الوقت.. ليس لديها أطفال. وهذا مما يؤسف له.. لهذا فمن رأيي أنها سوف تنتقل إلى مكان جديد.

– هل لديك فكرة عن ذلك المكان؟

– واحد من الأماكن التي تجري فيها الأنهار وربما "**إسبانيا**" أو "**البرتغال**".. وربما "**اليونان**" حيث الجزر.. فقد سمعتها تتحدث عن جزر "**اليونان**"، ابتسم "**بوارو**" ثم سأل الحارس:

– هل تشعر بالميل نحو السيدة "**دريك**"؟

– السيدة "**دريك**"؟ لا أستطيع أن أقول إنني أميل إليها.. هي سيدة لطيفة.. تؤدي واجباتها نحو جيرانها.. ولكنها تفرض نفوذهاعليهم.. ومن رأيي أن الناس يحبون تلك السيطرة.. وهي عندما تأتي تقول لي ما يجب أن أفعله للورد والخضراوات التي يحسن أن أزرعها. ابتسم "**بوارو**" مرة أخرى وقال:

– يجب أن أنصرف الآن.. هل تستطيع أن تدلني على عنوان "**نيكولاس رانسوم**" و "**ديزموند هولاند**"؟

–البيت الثالث على الشمال بعد الكنيسة.. يقيمان في حجرة مفروشة عند السيد "**براند**"، ويذهبان للدراسة كل يوم في المعهد الفني.. أعتقد أنهما عادا إلى

المنزل الآن. همس "بوارو" لنفسه وهو ينصرف: من بين الذين كانوا حاضرين أكاد أكون قد انتهيت من مقابلة جميع من تضمهم القائمة.

- 10 -

حملق الشابان إلى وجه "بوارو" بقلق، كان "نيكولاس" في الثامنة عشرة و"ديزموند" في السادسة عشرة، وقال "بوارو":

– أنا لا أسأل عن الأشخاص الذين كانوا في الحفل وإنما في فترة الاستعداد له، واعترف الشابان أنهما كانا بين الفئة الأخيرة. قال "بوارو":

– قابلت حتى الآن الخادمات، والطبيب الذي فحص الجثة، والمدرسة التي كانت موجودة، وناظرة المدرسة، وأفراد الأسرة المنكوبة. بهذه المناسبة سمعت أنه توجد ساحرة محلية. ضحك الشابان وقال "نيكولاس":

– تعني السيدة "جود بودي".. نعم.. حضرت الحفل وقامت بدور الساحرة. قال "بوارو":

– لقد جئت الآن لمقابلة الجيل الشاب الذي يملك الحيوية والذكاء والبصيرة.. لأستمع إلى رأيكم، فلا شك أنكما على خلاف الآخرين تتمتعان بالنظرة الثاقبة والملاحظة الواعية، ولاشك في أنكما رأيتما أو سمعتما ما لم يفطن إليه الآخرون..

كان "بوارو" يهدف من وراء هذا التملق إلى دفعهما نحو الكلام لعلهما يزودانه بمعلومات مفيدة.. تأمل "بوارو" ملابس الشابين ولاحظ أنهما يرتديان ثياباً فاخرة لا يمكن أن تسمح بها موارد أسرتيهما، وحثهما على الكلام قائلاً:

– كنتما موجودين قبل بدء الحفل تساعدان في الإعداد.. أليس كذلك؟ قال "نيكولاس":

–كنا نساعد في وقت مبكر في فترة ما بعد الظهر.

– ما الأعمال التي كنتما تقومان بها؟

– أعمال الإضاءة على سبيل المثال.

– كنتما تصعدان على السلم لمد الأسلاك ووضع المصابيح، وسمعت كذلك أنكما أعددتما مجموعة طيبة من الصور الفوتوغرافية. دس "ديزموند" يده في جيبه وأخرج مجموعة من الصور ناولها باعتزاز لـ"بوارو" قائلاً:

– أعددنا هذه الصور؛ لترى الفتيات من بينها أزواج المستقبل.. ومعظمها باللحى.. أعتقد أنها ليست سيئة.

تأمل "بوارو" الصور باهتمام. كانت لشبان طويلي اللحى والسوالف وقال:

– عمل طيب.. هل استخدمتما موديلات؟

– كلا.. هي صورنا.. كنت ألتقط صورة لـ"ديزموند" ويلتقط لي صورة بعد أن نستخدم المكياج.

– عمل ذكي للغاية..

– كما نحرص على ظهور الصور غير واضحة حتى نبدو أقرب إلى الأشباح زيادة في التأثير. وقال الآخر:

– لقد أعجبت بها السيدة "دريك" أيما إعجاب. وضحكت كثيراً.. كان معظم عملنا المساعدة في الأعمال الكهربائية.. عندما تطفأ أنوار الحجرة وتسلط الأضواء على الصورة تنعكس على سطح المرآة التي تحملها الفتاة. سأل "بوارو":

– هل كانت الفتاة تعرف صاحب الصورة؟

– ليس في وقت ظهور الصورة.. كانت الفتيات يعتقدن أننا نعاون في بعض الأمور، ولكن لا أظن أنهن يعرفنها.. وكن يضحكن في مرح وسرور.

– وماذا بشأن الحاضرين في وقت الإعداد للحفل؟

– كان عددهم يقرب من الثلاثين.. السيدة "دريك" بالتأكيد.. السيدة "هويتاكر" المدرسة والسيدة "فلاتريات" أو شيء من هذا القبيل.. وهي شقيقة عازف الأورج أو زوجته، مساعدة الدكتور "فيرجسون" الآنسة "لي".. وكانت الفتيات لا يساعدن في شيء ويكتفين بالضحك والضجيج.

– هل تذكر الفتيات؟

– نعم.. بنات "**رينولدز**".. "**جويس**" المسكينة وأختها "**آن**" فتاة فظيعة تظن أنها خارقة الذكاء وأنها ستتفوق على الجميع.. وكان معهما "**ليوبولد**" الأخ الأصغر.. وهو شيطان صغير يتنصت على الأحاديث ويخترع القصص.. وكانت هناك أيضاً "**بياتريس آردلي**"، و"**كاثي جرانت**".. والخادمات المختصات بالتنظيف.. وتلك السيدة المؤلفة التي أحضرتك إلى هنا..

– ألا تذكر أحداً من الرجال؟

– أوه! راعي الكنيسة وهو رجل عجوز لطيف.. وكذلك القس الجديد.. وهو يتلعثم عندما يكون عصبياً. لم يأت منذ زمن طويل.. هذا كل ما أتذكره الآن.

– أعتقد أنك سمعت تلك الفتاة– "**جويس**"– تقول إنها رأت جريمة في أثناء ارتكابها؟ قال "**ديزموند**" بإصرار:

– لم أسمع شيئاً كهذا.. هل قالت ذلك؟ قال "**نيكولاس**":

– أوه! هذا ما قاله البعض.. أنا لم أسمعها وأعتقد أنني لم أكن في الحجرة عندما قالت ذلك..

– أين كنت عندما قالت هذا الكلام؟

– في غرفة المائدة.

– نعم.. كان معظم الناس هناك.. كنت أنا و"**نيكولاس**" معظم الوقت في الغرفة التي سترى فيها الفتيات صور أزواج المستقبل نعد الترتيبات اللازمة والأضواء المناسبة.. ذهبنا مرة أو مرتين إلى غرفة الاستقبال لنعلق بعض الزينات، ولكنني لم أسمع شيئاً مما قالته "**جويس**"..

–وماذا بشأنك يا "**نيك**"؟ قال "**نيكولاس**":

– لم أسمع شيئاً.. هل قالت "**جويس**" حقاً إنها رأت جريمة ساعة ارتكابها؟هذا أمر مثير إذا كانت قد قالت ذلك حقا. سأل "**بوارو**" باهتمام:

– ولماذا ترى ذلك مثيراً؟

– لأنها تقول إنها رأت جريمة ترتكب ولم تمضِ ساعة أو ساعتان إلا وقتلت هي

الأخرى. سأل "**بوارو**":

– ألا تذكر أن شيئاً معيناً حدث في أثناء وجودكما في المنزل يكون له معنى خاص.. شيء ربما رآه الآخرون ولم يلاحظوه ولكنه استرعى انتباهكما بصفة خاصة؟ استغرق الشابان في التفكير وهما يحاولان التذكر. وقال "**نيكولاس**":

– كلا.. كنا مشغولين بالعمل والمكان حافل بالضجيج.

– أليست لديك نظريات خاصة؟ تدخل "**ديزموند**" في الحديث قائلاً:

– أراهن على أنها الآنسة "**هويتاكر**".

سأل "**بوارو**" بدهشة:

– المدرسة..؟!

– نعم.. إنها عجوز عانس.. تعاني الجوع الجنسي وتقضي معظم وقتها بين النساء.. ألا تذكر أن إحدى المدرسات ماتت مخنوقة منذ عام أو عامين؟ يقولون إن تصرفاتها كانت شاذة بعض الشيء. سأل "**نيكولاس**":

– تعني أنها مصابة بالشذوذ الجنسي؟ قال "**ديزموند**":

–لا يدهشني أن أسمع ذلك.. هل تذكر "**نورا أمبروز**".. الفتاة التي كانت تعيش معها؟ كانت جذابة وكان لها صديق أو صديقان على ما يقال.. قال البعض إن الفتاة أنجبت دون زواج. وإنها ادعت المرض وتغيبت بعض الوقت ثم عادت.. قال "**نيكولاس**" موجهاً حديثه لزميله:

– فلنفترض أن "**هويتاكر**" هذه– كم تبلغ من العمر؟ تجاوزت الأربعين والسيدات في هذه الفترة يتصرفن بعض التصرفات الغريبة. نظر كل منهما إلى "**بوارو**" في زهو كأنهما من كلاب الصيد التي أحضرت الفريسة إلى صاحبها، وقال "**نيكولاس**":

– أراهن أن الأمر لو كان كذلك فإن الآنسة "**إمِلين**" تعرف.. ولا يخفى عليها شيء مما يجري في مدرستها.

– هل تعتقد أنها تتكلم؟

– ربما كانت تتستر عليها بدافع من الولاء.

– لا أظن أنها تفعل ذلك. فلو أن "**إليزابيث هويتاكر**" فقدت صوابها فمعنى ذلك أن قدراً كبيراً من الضرر سوف يلحق بتلميذات المدرسة. سأل "**ديزموند**":

– وماذا بشأن القس الجديد؟ ربما لم يكن سليم العقل تماماً.. جاءتني فكرة الآن.. لم يحضر القس إلى هنا منذ وقت طويل.. وعندما بدأت لعبة أكل العنب المحمى فوق النار. وشاهد وهج النار في الحجرة المظلمة طاش صوابه وأخذ "**جويس**" إلى غرفة المكتبة وقال لها إنه سيطهرها من ذنوبها.. طلب منها أن تغمس رأسها في الماء وعندما أجابته إلى طلبه أخذ يضغط على رأسها حتى ماتت. ما رأيكما؟ قصة آدم وحواء، التفاحة ونار الجحيم.

نظر "**بوارو**" إلى وجه السيدة "**بودي**" باهتمام.. فقد كان وجهها شديد الشبه بوجوه الساحرات، ومن ثم لم يكن مستغرباً أن تقوم بتمثيل دور الساحرة في الحفل، وقالت:

– كنت موجودة في الحفل واعتدت أن أقوم في جميع الحفلات بدور الساحرة وأنا أقود كورس الفتيات في الغناء.. ساعدتني الصور التي أعدها "**نيكولاس**" و"**ديزموند**" على إحداث الأثر المطلوب في الحفل.. كانت الصور لهما بعد عمل المكياج المناسب وأسعد الفتيات أن يقضين بعض الوقت في ضحك وسعادة وهن يرين في المرايا صور أزواج المستقبل.. فتيات اليوم يحببن أن يستلفتن أنظار الشباب بملابسهن القصيرة، وكذلك الشبان يطلقون اللحى والشعور.. قال "**بوارو**" باسماً:

– هل تستطيعين أن تنظري في كرتك السحرية وتري الشخص الذي قتل "**جويس**"؟

– لقد أخطأت فهمي.. ليست هذه كرة بلورية تنظر إليها لترى الأشياء كما أنها ليست كرة سحرية، عندما اشتريتها ظننتها كذلك.. يجب أن تعترف أن ذلك ضد الطبيعة.. ولكن العجيب في الحياة أن أشياء كثيرة تقع مخالفة للطبيعة.

– ربما يكون هناك بعض الصدق فيما تقولين.

– هذا مكان طيب بصفة عامة يحلو للإنسان أن يعيش فيه أغنى الناس.. معظمهم طيبون، ولكنك أينما توجهت فسترى بعض أعوان الشيطان.. ولدوا ليكونوا دعاة للشر.

– هل تقصدين السحر الأسود؟

– كلا.. ليس هذا ما أعنيه.. السحرالأسود هراء.. أعني الجنس وما أشبه.. أقصد أولئك الذين أغواهم الشيطان.. الذين ولدوا والقتل في دمائهم.. عندما يريدون شيئاً لا يقف في سبيلهم عائق ويفعلون أي شيء لتحقيق رغباتهم.. ربما كان مظهرهم بريئاً كالملائكة.. أعرف فتاة في السابعة قتلت أخاها الأصغر وأختها..

– هل حدث ذلك هنا في "**وودلي كومون**"؟

– كلا، كلا.. ليس في "**وودلي كومون**".. في "**يوركشير**". قال "**بوارو**":

– للأسف.. أنت على حق.. لو أن "**جويس**" قالت إنها رأت جريمة ترتكب.. قاطعته السيدة "**جود بودي**" قائلة:

– من الذي أخبرك أنها قالت ذلك؟

– هي التي قالت ذلك على مسمع من الكثيرين.

– ليس هذا سبباً يدعو إلى تصديقها.. كانت معتادة على الكذب.. هل تصدق ما قالت؟

– لا، لا أصدقها، فقد قرر الكثيرون ذلك.

– وماذا بالنسبة إلى الولد؟

– "**ليوبولد**".. إنه لا يتجاوز تسعة أعوام أو عشرة على ماأعتقد.. ولكنه ذكي وأصابعه ماهرة، يريد أن يدرس الفيزياء وهو ممتاز أيضاً في الرياضيات.. نعم هو ذكي وسوف يصبح واحداً من كبار العلماء.. تصور أنه يفكر في صنع أشياء مثل القنابل الذرية.. إنه واحد من أولئك الذين يفكرون في أشياء لتدمير نصف العالم والناس الفقراء من أمثالنا.. سكتت مرة أخرى لتلتقط أنفاسها، ثم قالت:

– حسن.. ليس لدي أكثر مما قلت لك.. وقال "**بوارو**":

– لقد قدمت إليّ القدر الكبير من المساعدة.. ما الذي حدث للفتاة الأجنبية التي أشيع أنها هربت؟

– من رأيي أنها لم تبتعد كثيراً.. يذكرني ذلك بالأغنية التي تقول.. "دينج دونغ دير" ابحث عن القطة في البئر.

- 11 -

كانت السيدة "أوليفر" واقفة في الشرفة عندما سمعت صوتاً يقول لها:

– معذرة يا سيدتي.. هل تسمحين لي بدقيقة من الحديث؟

كانت تنتظر "هركيول بوارو" والتفتت نحو السيدة التي تقترب من الشرفة.. كانت السيدة في منتصف العمر تفرك يديها بعصبية، وقالت السيدة:

– أنا آسفة لإزعاجك، ولكنني فكرت في... لم تحاول السيدة "أوليفر" استعجالها. وقالت السيدة:

– ظننت أنك السيدة التي تكتب الروايات عن الجريمة. نعم.. رأيت من الأصوب أن أخبرك بما لدي.

– من الأفضل أن تجلسي أولاً.. جلست السيدة وهي لاتزال تعتصر يديها بعصبية. وقالت السيدة "أوليفر":

– هل هناك أمر يقلقك؟

– حسن.. أريد استشارتك في موضوع معين.. إنه يتعلق بأمر حدث منذ بعض الوقت.. ولكن الإنسان عندما يعيد التفكير في الأمور يشعر برغبة في استشارة أحد للاستنارة برأيه. قالت السيدة "أوليفر":

– أنا عندي استعداد لسماع قصتك..

– أعني ما حدث في حفل عيد الأشباح. أعني أنه يظهر لك أن الناس ليسوا أهلاً للثقة التي توليهم إياها..

– نعم.. ولكنك لم تخبريني باسمك..

– "ليمان".. السيدة "ليمان".. أقوم بتنظيف منازل السيدات في هذه المنطقة.. أقوم بذلك العمل منذ مات زوجي منذ خمسة أعوام.. وعملت بعض الوقت في خدمة السيدة "لليوين سمايث" التي كانت تمتلك قصر المحجر قبل أن يشتريه العقيد "ويستون".. لا أدري ما إذا كنت تعرفين هذه المعلومات.

– لم أكن لأعرفها ولكنني سمعتها مؤخراً.. هذه أول زيارة لي إلى "وودلي كومون" – ربما لم تسمعي عما حدث هنا منذ وقت قريب.

– سمعت بعض الأشياء منذ وصولي.

– أنا لا أعرف شيئاً عن القانون وأشعر بالقلق في كل مرة يدور فيها الحديث حول القانون والمحامين.. قالت السيدة "أوليفر" بحذر:

– ربما تكونين قد سمعت شيئاً عن الوصية المزورة. قالت السيدة "ليمان" باضطراب:

– لم أكن لاقصد الإضرار بأحد في ذلك الوقت.. ورأيت من واجبي الآن أن أقول الحقيقة لسيدة مثلك تعرف كيف تتصرف في مثل هذه الحالة.. لقد عملت بعض الوقت في خدمة السيدة "لليوين سمايث" ومن ثم تابعت عن قرب ما حدث في ذلك الوقت..

– حسن.. ما الذي حدث؟

– أنا لم أفعل أي خطأ.. ليس في ذلك الوقت.. لاشك في أنك تقدرين موقفي.

– أوه! نعم.. سوف أقدر موقفك عندما أعرف ما حدث.

– لم تكن السيدة "لليوين" بصحة جيدة ذلك اليوم وطلبت مني أن أحضر مع مساعدها البستاني الشاب.. "جيم".. ذهبنا إليها في حجرتها.. وجدناها جالسة أمام مكتبها وأمامها بعض الأوراق.. كانت "أولجا" تلك الفتاة الأجنبية موجودة معها منذ دخولنا. وقالت لها السيدة "لليوين": انصرفي من الحجرة الآن يا عزيزتي؛ لأنه ليس من المفروض أن تشاركي في هذا العمل. لهذا

خرجت الآنسة "**أولجا**" .. وقالت لنا الآنسة "**لليوين**": هذه وصيتي .. سوف أكتب شيئًا على هذه الورقة وأوقع عليها أمامكما .. وبدأت تكتب سطرين أو ثلاثة بخط يدها الغريب ثم وقعت أسفل الكتابة وقالت لي:

– والآن يا سيدة "**ليمان**" .. اكتبي اسمك وعنوانك ثم طلبت الشيء نفسه من "**جيم**" .. ثم قالت بعد أن نفذنا تعليماتها:

– هذا هو كل المطلوب منكما .. ولكنني سرعان ما سألت نفسي:

– أليس من المفروض أن يعرف الإنسان ما يوقع عليه؟ عدت وألقيت نظرة من الباب ورأيت السيدة "**لليوين**" تقف بصعوبة .. كانت مصابة بتصلب الشرايين .. اتجهت نحو دولاب الكتب وأخرجت كتابًا وضعت فيه الورقة التي وقعنا عليها ثم أعادت الكتاب الضخم إلى مكانه .. سكتت السيدة "**ليمان**" برهة ثم قالت:

– لم أكن لأقصد أن أفعل شيئًا ضارًا .. لعلك تقدرين موقفي .. شجعتها السيدة "**أوليفر**" قائلة:

– إنني أقدر موقفك .. ولكنك بالتأكيد لم تستطيعي أن تنتظري طويلاً ..

– دفعني الفضول وأنا أنظف الحجرة في اليوم التالي إلى إلقاء نظرة على الورقة الموضوعة داخل الكتاب .. أخرجت الكتاب وأذكر أن عنوانه كان: (ابحث عن أي شيء) .. وعثرت على الورقة التي دستها السيدة "**لليوين**" داخل الكتاب داخل ظرف .. سواء كان تصرفي سليمًا أم خطأ يا سيدتي .. فهذا هو الذي حدث. سكتت برهة ثم أردفت تقول:

– حدثت نفسي قائلة إنه من حق الإنسان أن يعرف الشيء الذي يشهد عليه .. كانت الوصية بالفعل .. وأضيف إلى نهايتها بعض السطور .. كان الخط خط السيدة "**لليوين**" .. وقرأت الإضافة .. لا أذكر الكلمات بالنص ولكنها كانت تقول إنني أترك كل ثروتي لـ"**أولجا سيميتوف**" تقديرًا لإخلاصها وتفانيها في خدمتي في خلال فترة مرضي .. والتوقيع أسفل الإضافة مع توقيعي كشاهدة مع "**جيم**" .. أعدت الوصية إلى الظرف ووضعتها داخل الكتاب وأرجعته إلى مكانه حتى لا

تشعر السيدة "**لليوين**" أنني أعبث في أشيائها .. قلت لنفسي .. هذه مفاجأة .. السيدة "**لليوين**" تترك ثروتها الطائلة لتلك الفتاة الأجنبية .. يا لها من فتاة محظوظة! لم أشعر بميل نحو تلك الفتاة على الرغم من أنها مهذبة .. ولكن أن تحصل على كل الثروة وللسيدة العجوز أقارب تحرمهم من الميراث .. هذا ما فكرت فيه ثم نسيت الموضوع حتى بدأ الضجيج حول الوصية وأشيع أنها مزورة وأن السيدة "**لليوين سمايث**" لم تكتب شيئًا وأن الخط ليس خطها .. وأن الذي كتب الإضافة شخص آخر .. وسألت السيدة "**أوليفر**":

– ومن ذلك الشخص الآخر؟ وماذا كان موقفك؟

– لم أفعل شيئًا وهذا ما يقلقني .. ظننت المسألة مجرد حديث يثيره المحامون ضد أجنبية .. الجميع يكرهون الأجانب .. أنا شخصيًا لا أميل إلى الأجانب .. الذي حدث أن الفتاة ظلت تطرق مختلف الأبواب والجميع يقولون لها إن موقفها ضعيف؛ لأنها أجنبية ولا تمت بصلة القرابة للسيدة العجوز .. وأخبروها أنها ستمثل أمام المحكمة ولكن الجميع يعرفون أن القضية لم تعرض على المحكمة؛ لأن الفتاة هربت.

عادت إلى القارة من حيث أتت .. لهذا خُيِّل إليَّ أن لعبة ما قد تمت بشأن تلك الوصية .. ربما تكون "**أولجا**" قد هددت مخدومتها وأرغمتها على كتابة الوصية لصالحها .. من يدري؟ لي ابن أخ طبيب يقول إنه يمكن تسخير التنويم المغناطيسي في أشياء رائعة .. وقد فكرت في أنها ربما استخدمت التنويم المغناطيسي مع العجوز.

– منذ متى حدث ذلك؟

– ماتت السيدة "**لليوين سمايث**" منذ حوالي العامين.

– ولم يسبب لك ذلك القلق؟

– كلا .. لم أشعر بالقلق في ذلك الحين؛ لأنني لم أر أهمية للموضوع .. لم تحصل "**أولجا**" على المال ولم أر داعيًا لكي أقول شيئًا ..

– ولكن شعورك يختلف الآن؟

– السبب هو الميتة البشعة لتلك الطفلة التي أغرقوها في إناء مملوء بالماء.. وما تردد من أن الفتاة قالت إنها رأت جريمة ترتكب.. وفكرت في أن الآنسة "أولجا" ربما قتلت السيدة العجوز؛ لأنها تعرف أن كل أموالها ستصير إليها، ولكنها واجهت عاصفة من المحامين واحتمال تدخل الشرطة.. لهذا هربت.. عندئذ فكرت في ضرورة التحدث مع شخص وقلت إنك السيدة المناسبة فأنت على علاقة برجال الشرطة، وتستطيعين أن تشرحي لهم الأمر، أن تقولي لهم إنني كنت أنظف الغرفة ورأيت الوصية بدافع الفضول.. ولكنني أعدتها إلى مكانها.. لم آخذها ولم أفعل شيئًا.

– إذا كنتما قد رأيتما السيدة العجوز توقع بإمضائها فمعنى هذا أن الوصية ليست مزورة؟

– رأيتها تكتب وتوقع بخط يدها.. وكان "جيم" يستطيع أن يشهد على ذلك لولا أنه سافر إلى "أستراليا"..

– وما الذي تطلبين مني أن أفعله؟

– أريد أن تشيري عليَّ.. هل أستطيع أن أقول أو أن أفعل شيئًا الآن؟

– ما اسمك بالكامل؟

– "هارييت ليمان".

– واسم "جيم"؟

– "جيمس جنكنز". قالت السيدة "أوليفر":

– أعتقد أنك قد تطالبين برواية هذه القصة لمحامي السيدة "لليوين سمايث"، لاشك في أن المحامي سوف يقدر موقفك وسبب سكوتك طوال هذه المدة.

– إنني أعتمد عليك في تبرير موقفي.. هل أنا أفعل شيئًا مخلاً بواجبات الشرف؟.. أعني أنني..

– كل ما فعلته أنك لم تقولي شيئًا.. ويبدو هذا تفسيرًا معقولاً.

– لو أنك تدخلت لصالحي فسوف أكون شاكرة لك..

– سوف أفعل كل ما أستطيع. أدارت السيدة "أوليفر" بصرها تجاه الحديقة حيث سمعت وقع أقدام تقترب، ونهضت السيدة "ليمان" وهي تفرك يديها بعصبية وانتظرت السيدة "أوليفر" حتى اقترب "هركيول بوارو" الذي كان يتململ لضيق الحذاء الذي يلبسه وقالت له:

– اجلس أولاً ثم حدثني عما توصلت إليه، وبعدها سوف أروي لك خبرًا مثيرًا..

جلس "بوارو" وطلبت منه السيدة "أوليفر" أن يخلع الحذاء؛ ليشعر بالراحة قائلة إن صديقتها لن تعترض، ولكن "بوارو" الحريص على آداب السلوك والمظهر رفض بإصرار، وبدأت السيدة "أوليفر" تفض غطاء لفافة لشيء اشترته مؤخرًا، ورأى "بوارو" صندوقًا صغيرًا فتحته السيدة "أوليفر" وأخرجت منه شيئًا وضعته في فمها ثم أخذت تلعق أصابعها وتجففها بالمنديل، وتمتمت بصوت منخفض:

– لزجة..

– ألم تعودي تأكلين التفاح؟ تعودت أن أراك حاملة التفاح، أو تلوكينه في فمك، أو تسقطينه على الأرض وهو يتدحرج بعيدًا عنك.. قالت السيدة "أوليفر" باستياء:

– قلت لك إنني لا أريد أن أرى تفاحًا بعد الآن.. إنني أكره التفاح وربما يمضي بعض الوقت قبل أن أرجع إليه.. ولكني لا أحب أن أسمع سيرته الآن.

– وما هذا الذي تأكلينه الآن؟ لمح "بوارو" صورة شجرة نخيل على غلاف الصندوق، وقرأ (بلح تونسي)، وقال:

– تأكلين البلح الآن؟

– هذا صحيح.. الزمن يتطور.. همس "بوارو" لنفسه: بلح.. الزمن يتطور.. هذا غريب. سألته السيدة "أوليفر":

– ما سبب دهشتك؟

– لأنك مرة أخرى تشيرين لي إلى الطريق الذي أسلكه.. أو الذي شرعت في سلوكه بالفعل..

– لا أدري ما علاقة البلح بما حدث هنا.. الذي حدث هنا وقع منذ أربعة أيام فحسب.

– وقعت الجريمة منذ أربعة أيام.. هذا صحيح تمامًا.. لكن أي حدث يقع الآن له ماض.. ماض يرتبط بالحاضر. ولكنه كان موجوداً بالأمس أو في الشهر الماضي أو العام الأخير.. للحاضر جذور في الماضي.. ارتكبت جريمة منذ عامين أو ثلاثة أعوام.. شاهدت الجريمة طفلة.. ونظرا؛ لأن هذه الطفلة رأت الجريمة ترتكب في تاريخ مضى، فقد لقيت الفتاة مصرعها منذ أربعة أيام.. أليس هذا ما حدث؟

– بلى.. أو على الأقل هذا ما أعتقده..

– لا أظن أنك مقتنعة بذلك وإلا لما أحضرتني إلى هنا.

– كلا.. هذا صحيح.. لم أشعر بالارتياح لما حدث..

– وأنا معك في هذا.. إذا كان الإنسان يشعر نحو شيء معين بعدم الارتياح فلابد من أن يسأل عن السبب، وأنا أحاول أن أفعل. قالت السيدة "أوليفر" في شيء من السخرية:

– عن طريق تجوالك بين الناس ومحاصرتهم بالأسئلة؟

– تمامًا..

– وما الذي توصلت إليه؟

– الحقائق.. الحقائق التي سوف تؤدي في النهاية مع دراسة التسلسل الزمني إلى اكتشاف الحقيقة.

– أهذا كل ما توصلت إليه؟

– توصلت إلى حقيقة أن الجميع يرفضون تصديق "جويس".

– نعم.. قالت الفتاة ذلك ولم يصدقها أحد.. والاحتمال إذن أن ما ذكر ليس صحيحًا.. قالت السيدة "أوليفر":

– يبدو لي أن الحقائق التي توصلت إليها تقودك إلى الوراء بدلاً من أن تدفعك للتحرك إلى الأمام.

– يجب أن ترتبط الأمور بعضها ببعض.. خذي على سبيل المثال موضوع التزوير.. يقول الجميع إن فتاة الأوبرا استطاعت أن تؤثر في مخدومتها العجوز لتكتب لها كل ثروتها في الوصية أو التذييل الذي أضافته إلى الوصية.. والسؤال هو: هل قامت تلك الفتاة بتزوير الوصية أم أن شخصًا آخر هو الذي قام بالتزوير؟

– من غيرها كان يستطيع القيام بهذا العمل؟

– كان يوجد في القرية مزور آخر.. شخص سبق أن قام بعملية تزوير وصدر عليه بشأنها حكم مخفف.

– أهذه شخصية جديدة.. هل أعرفها؟

– كلا.. لا تعرفينه لأنه مات.

– أوه! متى مات؟

– منذ حوالي العامين.. وهو شخص تدرب على التزوير وعاش في هذا المكان.. وبسبب بعض المتاعب النسائية.. بسبب العاطفة والغيرة فقد تلقى ذلك الشاب طعنة سكين ومات.. ربما لم تكن كل الأحداث مترابطة ولكن العديد منها يترابط. قالت السيدة "أوليفر" باهتمام:

– يبدو كلامك مقنعًا.. ولكنني لا أرى..

– ولا أنا حتى هذه اللحظة.. ولكن تواريخ وقوع الأحداث قد تفيد.. لقد كان الجميع على حق.. كانت فتاة الأوبرا هي الوحيدة التي تستفيد من التزوير.. ولكن انتظري..

– ماذا أنتظر؟

– فكرة عبرت ذهني في هذه اللحظة.. تنهدت السيدة "أوليفر" وتناولت بلحة أخرى. وقال "بوارو":

– هل تعودين إلى "لندن" أم تبقين هنا فترة أطول؟

– سوف أعود إلى "لندن" فلدي كثير من الأعمال.. سكت "بوارو" ثم قال بهدوء:

– أخبريني يا "أريادن".. لا أذكر المسكن الذي تقيمين فيه؛ لأنك غيرت مسكنك أكثر من مرة. هل يوجد لديك مكان لاستقبال بعض الضيوف؟

– لا أستطيع أن أقول إن لدي مكانًا يصلح لاستقبال ضيوف.. ولا تنس مشاكل غسيل الملابس والأغطية، وما يطلبه الضيوف في الصباح الباكر من الشاي ورغبتهم في أن تقدم لهم بعض المأكولات الخاصة.. ولكن لا أحب أن يستغلني الآخرون.

– ومن الذي يحب ذلك؟ أنت عاقلة حقًا.

– ولكن ما سبب إثارة هذا الموضوع؟

– ألا تستطيعين استضافة ضيف أو ضيفين في حالة الضرورة الملحة؟

– أستطيع.. من الأشخاص الذين تريد مني استضافتهم؟ لست أنت بالتأكيد.

– ربما كان الأمر مجرد احتياط قد تستلزمه الظروف.

– من الشخص؟ أهو شخص يحتمل أن يتعرض للقتل أيضًا؟

– أرجو ألا يحدث له مكروه، ولكن كل شيء محتمل.

– لكن من ذلك الشخص؟

– إلى أي مدى تعرفين صديقتك؟

– أعرفها.. ليس جيدا.. أعني التقينا في رحلة بحرية وشعرت بالميل نحوها.. واعتدنا منذ ذلك الحين أن نسافر معًا في الرحلات.. كان هنالك شيء.. كيف أسميه؟ شيء غامض بالنسبة إليها..

– هل تفكرين في أن تضعي شخصيتها في واحدة من رواياتك القادمة؟

– أنا أكره استخدام هذا التعبير.. كثيراً ما يقال لي هذا الكلام ولكنه ليس صحيحاً.. ليس واقعياً.. أنا لا أضع الأشخاص الذين التقي بهم في رواياتي.

– أنت محقة..

– هناك أمر واحد يمكن أن يدمر كل شيء.

– وما ذلك الأمر؟

– أن التقي بنفس الشخصية بعد ذلك؛ لأن هذا يفسد كل شيء.

– نعم.. نعم.. لابد أن تكون القصة من إبداعك وأن تكون الشخصية من ابتكارك..

– أنت على حق مرة أخرى.. وأعتقد أن ما قلته عن "جوديث" صحيح أيضًا.. أعني التقينا في رحلة بحرية وذهبنا معًا لزيارة العديد من الأماكن.. هي أرملة تركها زوجها في وضع مالي دقيق.. وصحيح أنني أحسست نحوها بإحساس غريب.. خُيِّل إليّ أنها تعيش مأساة معينة.. ولم يكن يعنيني أن أعرف حقيقة هذه المأساة.. لم أطلب منها أن تخبرني بشيء؛ لأني أحب أن أتخيل نوع المأساة التي أضعها في روايتي..

– نعم.. أنت تعدين العدة لكتابة رواية جديدة من رواياتك التي تلقى رواجًا كبيرًا. قالت السيدة "أوليفر":

– لا أدري لماذا تحب أن تصور الأمور على هذا النحو؟ تريد أن تصف العمل بالسوقية.

– كلا.. ليس بالسوقية وإنما بالعمل الإنساني.

– وأنت تطلب مني أن أدعو "جوديث" و"ميراندا" للإقامة معي في "لندن"؟

– ليس الآن.. ليس قبل أن أتأكد من صحة النظرية التي بدأت أكونها.

– حسن.. والآن جاء دوري لأخبرك بنبإ عجيب.

– أنا مصغٍ إليك يا سيدتي..

– ربما انقلبت نظريتك رأساً على عقب.. ماذا تقول لو أنني أخبرتك أن قضية تزوير الوصية لم تكن صحيحة على الإطلاق؟

– ما هذا الذي تقولين؟

– لقد كتبت السيدة "**لليوين سمايث**" الوصية بخط يدها وتركت كل ثروتها لفتاة الأوبرا ووقعت على التذييل واستعانت بشاهدين وقع كل منهما في حضور الآخر.. قال "**بوارو**" وهو يكتب الاسم: السيدة "**ليمان**".

– نعم.. "**هارييت ليمان**". واسم الشاهد الثاني "**جيمس جنكنز**"..

– إلى أي مدى يمكن الوثوق بكلام السيدة "**ليمان**"؟

– لا أظن أنها اخترعت القصة.. أعتقد أنها وقعت كشاهدة.

– هل تعرف القراءة والكتابة؟

– أظن. ولكنني أوافقك على أن الناس لم يعودوا مستقيمين. قال "**بوارو**" مفكراً:

– الوصية الأصلية.. ولكن هناك وصية ثانية مزورة.

– من الذي قال هذا؟

– المحامون.

– ربما لم تكن مزورة على الإطلاق.

– من المعروف أن المحامين يدققون كثيراً في مثل هذه الأمور. قالت السيدة "**أوليفر**":

– حسن.. من السهل إذن أن نرى ما حدث..

– ما السهل؟ وما الذي حدث؟

– في اليوم التالي أو ربما بعد بضعة أيام أو أسابيع..

كانت السيدة "**لليوين سمايث**" غاضبة من فتاة الأوبرا التي أحبتها من قبل، أو أنها رضيت عن "**هيجو**" ابن أختها أو "**روينا**" ابنة أختها ومن ثم مزقت الوصية

المعدلة أو قطعت التذييل الذي كتبته..

– وبعد ذلك؟

– أعتقد أنها ماتت بعد ذلك وانتهزت فتاة الأوبرا الفرصة، وكتبت تذييلا جديداً بخط أقرب ما يكون إلى خط العجوز كما قلدت بقدر الإمكان خط الشاهدين..

– هل تسمحين لي يا سيدتي باستخدام تليفونك؟

– سوف أسمح لك باستخدام تليفون "**جوديث بتلر**" صديقتي.

– أين صديقتك الآن؟

– أوه! ذهبت لتصفف شعرها.. وخرجت "**ميراندا**" في نزهة على قدميها.. التليفون موجود في الغرفة المقابلة. ذهب "**بوارو**" إلى حيث يوجد التليفون، وعاد بعد عشر دقائق. وسألته السيدة "**أوليفر**":

– حسن. ماذا كنت تفعل؟

– اتصلت بالسيد "**فولرتون**" المحامي.. والآن سوف أخبرك بشيء.. التذييل.. أعني الوصية المزورة التي عرضت على الخبراء لم تكن موقعة من "**هارييت ليمان**".. كانت تحمل توقيع "**ماري دوبرتي**" التي ماتت في أثناء خدمتها السيدة "**لليوين**"، وكان التوقيع الآخر لـ"**جيمس جنكنز**" الذي أخبرتك السيدة "**ليمان**" أنه سافر إلى "**أستراليا**". قالت السيدة "**أوليفر**" مفكرة:

– إذن فقد كانت هناك وصية مزورة.. كما كانت توجد أخرى صحيحة.. ألا ترى يا "**بوارو**" أن الأمور تزداد تعقيداً؟ هز "**بوارو**" رأسه مؤمناً وهو يقول:

– نعم.. الأمور تزداد تعقيداً.. وفي رأيي أنه يوجد قدر من التزوير أكبر مما نتخيل.

– ربما كانت الوصية الصحيحة لاتزال موجودة في قصر المحجر.. داخل كتاب: (ابحث عن أي شيء).

– الذي أعرفه أن القصر بيع بعد وفاة السيدة "**لليوين سمايث**" فيما عدا بعض

قطع الأثاث العائلية، وبعض صور الأسرة. قالت السيدة "أوليفر":

– الذي نحتاج إليه الآن شيء مثل كتاب (ابحث عن أي شيء).. أليس عنوانًا محبوبًا؟ تستطيع أن تعثر فيه على حل لمشكلة قانونية، أو وصفة لوجبة طعام، أو كيفية صناعة سائل لإزالة البقع.. أوه! ومعلومات أخرى كثيرة.. ألا تحب الآن أن تقتني مثل هذا الكتاب؟

– بلا شك.. قد يعطيني وصفة لإزالة آثار التعب من ارتداء حذاء ضيق. قالت السيدة "أوليفر":

– المهم الآن.. الذي أريد أن أعرفه: هل كانت تلك السيدة "ليمان" تقص عليَّ سلسلة من الأكاذيب؟

– كل شيء جائز.

– هل طلب منها أحد أن تروي لي تلك الأكاذيب؟

– هذا محتمل أيضًا.. استمري في طرح الأسئلة.. أنت تتقدمين بصورة مرضية.

– أعتقد أن السيدة "لليوين سمايث" كانت كغيرها من العجائز تستمتع بكتابة الوصايا بين الحين والحين.. أعتقد أنها كتبت عددًا كبيرًا منها في أثناء حياتها، تفيد هذا الشخص في وصية وتفيد الآخر في وصية أخرى.. ولكنني لا أعتقد أنها كانت تترك لأحدهم مبلغًا كبيرًا.. ووفقًا لما تقوله السيدة "ليمان" وما تقوله الوصية المزورة فقد تركت ثروة ضخمة لـ"أولجا".. أريد أن أعرف المزيد من المعلومات عن تلك الفتاة.. يبدو أنها نجحت إلى حد كبير في الاختفاء عن الأعين.

– لدي أمل كبير في الحصول على هذه المعلومات قريبًا. سألت السيدة "أوليفر" باهتمام:

– كيف؟

– أنا في انتظار وصول بعض المعلومات التي طلبتها.

– أعلم أنك كنت تسعى هنا للحصول على المعلومات.

– ليس هنا فقط.. لدي وكيل في "لندن" يحصل لي على الأخبار في داخل البلاد ومن الخارج أيضًا.. أتوقع أن أحصل في القريب على معلومات في "هرزوجوفينيا".

– هل ستكتشف ما إذا كانت قد وصلت هناك؟

– هذا جانب من المعلومات.. ولكنني أتوقع الحصول على شيء آخر مختلف عن أصدقاء عرفتهم هنا، وأصبحت على علاقة وثيقة بهم. سألت السيدة "أوليفر":

– وماذا بشأن المدرسة؟

– أي واحدة تعنين؟

– تلك التي ماتت مخنوقة.

– التي حدثتك عنها "إليزابيث هويتاكر".

– أنا لا أحب "إليزابيث هويتاكر".. سيدة متعبة ولكنها ذكية.. لا أستبعد أن تفكر في ارتكاب جريمة.

– هل تقصدين أن تخنق مدرسة أخرى؟

– يجب علينا أن نفكر في كل الاحتمالات.

– سوف أعتمد كما تعودت على الأفكار التي تقترحينها يا سيدتي.

- 12 -

عندما غادر "بوارو" بيت السيدة "بتلر"، سلك الطريق نفسه الذي أطلعته عليه "ميراندا" وبدت له الفتحة في السور أكثر اتساعًا من المرة الماضية، مما أقنعه بأن شخصًا أضخم من "ميراندا" استخدم الفتحة.. سلك الممر المؤدي إلى حديقة المحجر وهو يستمتع بالجمال الذي يشمل المنطقة. أحس

"**بوارو**" كما أحس من قبل بالجمال الأخاذ لتلك المنطقة، ولكنه جمال من نوع خاص يبعث الإحساس في النفس بأن المكان مسكون بالأشباح، ولعل ذلك سبب انصراف الناس عنه.. كانت السيدة "**لليوين سمايث**" عجوزاً بالغة الثراء وأرادت أن تحول أرض المحجر إلى هذه الجنة الوارفة الظلال، ثم تذكر العجوز والوصية أو الوصايا التي كتبتها، وخطر بباله أن الوصية التي عرضت للفحص بمعرفة الخبراء كانت الصورة المزيفة، فقد كان واثقاً بأن محامياً مرموقاً كالسيد "**فولرتون**" لا يمكن أن يخاطر بسمعته ما لم يكن واثقاً بصحة الدعوى التي يستند إليها.. استدار "**بوارو**" نحو ركن عندما لمح على البعد شخصين..

كان "**مايكل جارفيلد**" جالساً فوق نتوء من الصخر وأمامه دفتر رسومات يرسم على صفحة منه، وكان مستغرقاً في عمله تماماً، وعلى مسافة غير بعيدة منه كانت تقف "**ميراندا بتلر**"، وركز "**بوارو**" كل انتباهه على ذلك الجمال الماثل أمامه.. كان "**مايكل جارفيلد**" جميلاً بكل ما في الكلمة من معنى، وربما كان الإنسان يحب أن يطيل النظر إلى امرأة جميلة، أما الجمال في الرجال فذلك شيء مختلف تماماً.. هو شخصياً لا يحب الجمال في الرجال.. وفكر "**بوارو**" في "**ميراندا**".. هي فتاة جذابة ولاشك، وحاول "**بوارو**" أن يفسر سبب الدهشة التي تنتابه وهو ينظر إلى تلك الفتاة ولكنه لم يهتد إلى سبب معقول وفكر في أن يوجه السؤال إلى الفتاة ولكنه شك في أن تجيب عن سؤاله.. رأى الفتاة في الوقت نفسه هشة.. هشة للغاية.. رفع "**مايكل جارفيلد**" رأسه وقال:

- أهلاً بصاحب الشارب الضخم.. أتمنى لك وقتاً سعيداً يا سيدي.

- هل أستطيع أن ألقي نظرة على الموضوع الذي ترسمه أم تراني متطفلاً؟ قال "**مايكل**" باسماً:

- تستطيع أن تنظر إليه.. لا أهمية لذلك عندي.. أنا أمتع نفسي إلى أبعد حد.

وقف "**بوارو**" وراء كتفه وأومأ برأسه.. كان رسماً رائعاً بالقلم الرصاص، ولم تكن الخطوط واضحة تماماً، وفكر "**بوارو**" في أن الشاب يجيد الرسم كما يجيد تخطيط الحدائق وقال بانبهار:

- رائع.

- هذا رأيي أنا أيضاً. ترك الجملة غامضة بحيث لا يدري أحد ما إذا كان يتحدث عن الرسم أم عن الفتاة. وسأله "**بوارو**":

- لماذا؟

- لماذا أرسم هذه اللوحة؟ هل تظن أنني أفعل ذلك لسبب معين؟

- ربما..

- أنت محق في ذلك تماماً.. لو أنني ابتعدت عن هذا المكان فسيوجد شيء أو شيئان أحب أن أتذكرهما.. و"**ميراندا**" واحد منهما.

- هل يمكن أن تنساها بسهولة؟

- بسهولة تامة.. هكذا أنا.. أن تحاول أن تتذكر شيئاً أو إنساناً.. وجهه.. استدارة كتفيه.. أو وردة أوقطعة من الأرض.. عندما تحاول استعادة ذكرى من تلك الذكريات ولا تستطيع أن تستحضر الصورة أمام عينيك.. يسبب لي ذلك نوعاً من الضيق.. لهذا أسجله بالرسم حتى لا يضيع.

- لكن ذلك لا ينطبق على حديقة المحجر.

- حتى تلك يمكن أن تبهت صورتها بسرعة.. لو أن أحداً لم يبق هنا لكي يعتني بها.. وحتى مع وجود إنسان فهو لا يستطيع أن يحافظ على لمسة الوحشية التي تكسب هذا المكان سحره ونكهته الخاصة.

- السيد "**بوارو**".. استدار "**بوارو**" نحو مصدر الصوت حيث تقف "**ميراندا**".. وقال لها:

- هكذا أجدك في هذا المكان.. هل جئت ليرسم لك السيد "**مايكل**" اللوحة؟ هزت رأسها قائلة:

- لم آت لهذا الغرض.. كانت مجرد مصادفة. قال "**مايكل جارفيلد**"

مؤمنًا:

– نعم كانت مجرد مصادفة.. مجرد حظ يصادف الإنسان في طريقه.

– هل كنت تتنزهين في حديقتك المفضلة؟ قالت "ميراندا":

– كنت أبحث عن البئر..

– البئر؟!

– كان يوجد في الغابة بئر للتمني.

– في محجر سابق؟ لم أسمع عن وجود بئر في محجر.

– كانت تحيط بالمحجر غابة.. وكانت توجد الأشجار بصفة دائمة.. ويعرف "مايكل" مكان البئر ولكنه لا يريد أن يدلني عليه. قال "مايكل جارفيلد":

– تكون تسلية أفضل لك أن تواصلي البحث بمعرفتك.. خصوصاً إذا لم تكوني واثقة بوجودها.

– ولكن السيدة "جود بودي" تعرف عنها كل شيء. إنها ساحرة. قال "مايكل":

– هذا صحيح.. هي الساحرة المحلية يا سيد "بوارو".. أنت تعرف أنه توجد دائمًا في معظم الأماكن ساحرة محلية.. لا يسمين أنفسهن ساحرات. وهن يقرأن الطالع، أو يلعن البقرة كي تتوقف عن إدرار الحليب (اللبن)، أو يعملن رقية للحب. تدخلت "ميراندا" في الحديث قائلة:

– كانت البئر للتمني.. اعتاد الناس أن يذهبوا إليها ويلقوا فيها بقطعة من النقود بعد أن يهمسوا بالأمنية التي يتمنونها.. قال "مايكل":

– حسن.. واصلي تفكيرك.. تلك قصة محلية طيبة.. ولكن توجد بئر حقيقية للتمني في "ليتل بلينج". قالت "ميراندا":

– أعرف بالتأكيد. أعرف عنها كل شيء ولكنها بئر سخيفة لم تعد فيها قطرة ماء.

– حسن.. أنا آسف..

– سوف أخبرك بمكانها عندما أعثر عليها.

– لا ينبغي أن تصدقي كل ما تقوله الساحرات.. أنا شخصيًا لا أصدق أن أحدًا سقط في البئر.. ربما تكون قطة هي التي وقعت في البئر وغرقت. تمتمت "ميراندا" مترنمة:

– "دينج دونغ دير".. القطة سقطت في البئر.. وقالت "ميراندا" بصوت مسموع:

– يجب أن أرجع إلى البيت الآن.. أمي تنتظرني. انصرفت "ميراندا" وهي ترمق الرجلين بابتسامة عذبة. وقال "بوارو" بشرود:

– "دينج دونغ دير".. ثم قال لـ"مايكل جارفيلد":

– هل كان ما تقوله الفتاة صدقًا؟

– إنها صادقة تمامًا.. كان يوجد بئر وقد غطوها بالفعل.. ولكنني لا أعتقد أنها كانت بئرًا للتمني وذلك من اختراع السيدة "جود بودي".. ولكن توجد شجرة للتمني وكان الناس يطوفون حولها ثلاث مرات وهم يهمسون بأمنياتهم.

– وأين ذهبت تلك الشجرة؟

– نزلت عليها صاعقة وشطرتها نصفين.

– هل حدثت "ميراندا" عن هذه الشجرة؟

– كلا.. رأيت أن أتركها مع فكرة البئر.. لأن فكرة شجرة للتمني قد لا تستهويها. قال "بوارو":

– يجب أن أنصرف الآن.

– هل أنت ذاهب إلى صديقك الشرطي؟

– نعم..

– إنك تبدو متعبًا.

– أنا متعب للغاية..

– هل تعرف أن لك شارباً ممتازاً؟

– يسعدني أنك لاحظت ذلك.

– السؤال هو: هل يستطيع إنسان أن يتغافل عن ذلك؟

– كنت تقول إنك ترسم اللوحة؛ لأنك تريد أن تتذكر "ميراندا".. هل يعني هذا أنك سوف ترحل عن المكان؟

– نعم.. فكرت في ذلك.

– وعلى الرغم من هذا فانت مستقر هنا..

– أوه! نعم.. لدي بيت أعيش فيه.. بيت صغير ولكنني أنا الذي صممته بنفسي.. ولدي عمل ولكنه لم يعد مرضياً مثلما كان في الماضي.. بدأت أشعر بالتبرم.

– لماذا لم يعد عملك مرضياً؟

– لأن الناس يريدون مني أعمالاً فظيعة.. الذين يرغبون في تجميل حدائقهم، والذين اشتروا قطعة أرض ويطلبون مني أن أحولها إلى جنة..

– ألا تساعد السيدة "دريك" في تجميل حديقتها؟

– هي تطلب مني ذلك.. اقترحت عليها بعض الاقتراحات وأبدت موافقتها عليها. ولكن لا أظن أنني أثق بها.

– تعني أنها لن تسمح لك بتنفيذ ما تريده؟

– أعني أنها لن تسمح بشيء غير الذي تريده هي، وعلى الرغم من أن أفكاري تروقها، إلا أنها سوف تطلب فجاة شيئاً مختلفاً.. شيئاً مكلفاً استعراضياً.. وسوف تصر على رأيها ولن أوافقها ومن ثم سوف نختلف.. لهذا فضلت الانسحاب قبل أن نختلف.. وليست المسألة قاصرة على السيدة "دريك" وحدها. فالشيء نفسه ينطبق على الجيران.. فانا شخص معروف تماماً هنا.. ولم أعد أرغب في البقاء في هذه البقعة.. ومن الأفضل لي أن أذهب إلى ركن آخر من "إنجلترا" مثل "نورماندي" أو "بريتاني".

– ركن آخر تستطيع أن تحسنه أو تساعد فيه الطبيعة، حيث تستطيع أن تقوم بتجارب جديدة، هل كنت تشعر دائماً بالتبرم؟

– لم أتعود البقاء طويلاً في مكان واحد.

– هل ذهبت إلى "اليونان"؟

– نعم.. وأحب أن أذهب مرة أخرى..

– تحلم بجنة للملائكة تسير فيها..

– يبدو أنك تقرأ كثيراً يا سيد "بوارو"..

– كم أتمنى لو كنت أفعل ذلك.. فهناك أشياء كثيرة لا أعرفها وأحب أن أعرفها.. بهذه المناسبة يا سيد "جارفيلد".. هل عرفت شاباً يدعى "ليزلي فيرييه"؟

– نعم.. أذكره.. أليس الشاب الذي كان يعمل كاتباً في مكتب السيد "فولرتون" المحامي؛ الشاب الوسيم؟

– ألم تكن نهايته مفاجئة؟

– نعم.. تلقى طعنة سكين في إحدى الليالي.. ويعتقد الجميع أن الشرطة تعرف الجاني، ولكنهم لا يملكون الدليل على إدانته.. كان على علاقة بسيدة تدعى "ساندرا".. كانت زوجة صاحب المشرب.. تركها "ليزلي" عندما تعرف إلى فتاة أخرى.. أو هكذا تقول الشائعات.

– ألم تكن "ساندرا" راضية عن العلاقة الجديدة؟

– كلا.. غضبت أشد الغضب.. كان "ليزلي" يستهوي الفتيات.. ومن المعروف أنه كان يخرج مع اثنتين أو ثلاث..

– هل كن جميعهن إنجليزيات؟

– لماذا تسأل هذا السؤال؟ كلا.. لم تكن علاقاته قاصرة على الإنجليزيات مادامت الفتاة التي يصادقها تستطيع أن تتحدث الإنجليزية وأنه يفهم ما تقوله له.

- لاشك في أنه كانت توجد بين الحين والحين إحدى الفتيات الأجنبيات في المنطقة.

- بالتأكيد كانت توجد بعض الأجنبيات.. فهن جزء من الحياة اليومية.. وكان بينهن الحسناوات والقبيحات.. والشريفات وغير الشريفات..

- مثل تلك الفتاة التي تسمى **"أولجا"**؟

- نعم.. مثل **"أولجا"**..

- هل كان **"ليزلي"** صديقاً لـ**"أولجا"**؟

- آه.. أهذا ما تفكر فيه؟! نعم.. كان صديقاً لها.. لا أظن أن السيدة **"سمايث"** كانت تعرف شيئاً عن هذه العلاقة.. فقد كانت **"أولجا"** شديدة الحذر؛ لأنها كانت تتحدث جادة عن شاب في بلادها تأمل أن تتزوجه.. وكان **"ليزلي"** شاباً وسيماً ولا أدري ما الذي استهواه في **"أولجا"**.. على أي حال كان **"ليزلي"** على وفاق معها وكان ذلك يغضب صديقاته الأخريات. قال **"بوارو"** بهدوء:

- هذا مسل للغاية.. كنت أفكر في أنك تستطيع أن تزودني بالمعلومات التي أريدها. نظر إليه **"مايكل"** بفضول وقال:

- لماذا؟ ما سر كل هذه الأسئلة؟ وأين **"ليزلي"** بينها؟ ولماذا تنبش الماضي؟

- حسناً.. هناك أشياء أريد أن أعرفها.. أريد تفسيراً لأشياء حدثت ولاأزال أتطلع إلى أبعد من ذلك في الماضي.. قبل **"ليزلي"** و**"أولجا"**.. كانا يتقابلان سراً دون أن تعرف السيدة **"لليوين سمايث"** شيئاً عن ذلك.

- حسناً.. لست متأكداً من ذلك.. هذا مجرد رأيي الشخصي.. فقد رأيتهما معاً بالمصادفة ولكن **"أولجا"** لم تكن لتخبرني بأسرارها.. أما بالنسبة إلى **"ليزلي"** فلم تكن تربطني به أية معرفة.

- أريد أن أرجع إلى تاريخ أسبق.. هل كان للشاب ماض مشبوه؟

- أعتقد ذلك.. هذا ما سمعته. ولكن السيد **"فولرتون"** استخدمه على أمل أن يجعل منه رجلاً شريفاً.. رجل عجوز لطيف السيد **"فولرتون"** هذا.

- هل كان **"ليزلي"** متهماً في جريمة تزوير؟

- كانت جريمته الأولى وحصل على حكم مخفف.. قيل إن أمه مريضة وأباه سكير أو شيء من هذا القبيل..

- لم أسمع التفاصيل ولكنني أعرف أنه اتهم بالتزوير..

- نعم.. إنني أعرف الطريقة التي يفكر بها عقلك.. أنت تريد أن تعثر على صلة بين الحادثين..

- رجل سبق له النجاح في التزوير ثم يصبح صديقاً للفتاة.. فتاة تصبح عريضة الثراء لو أن الوصية لم تقابل بالرفض.

- نعم.. هذا صحيح.

- وكانت الفتاة والشاب الذي سبق له ارتكاب جريمة التزوير صديقين.. وأصبح مرتبطاً بدلاً من فتاته التي تخلى عنها بالفتاة الأجنبية.

- الذي تريد أن تصل إليه أن **"ليزلي فيرييه"** هو الذي زور الوصية.

- ألا ترى هذا الاحتمال مقبولاً؟

كان المفروض أن تقوم **"أولجا"** بعملية التزوير؛ لأنها كانت تقلد خط السيدة **"لليوين سمايث"** ببراعة شديدة. ولكن لو كانت هناك علاقة بينها وبين **"ليزلي"** يصبح الأمر مختلفاً. ولكن يبدو أن شجاراً نشب بينهما عندما شك المحامي في الوصية وهربت الفتاة تاركة صديقها ليواجه الموقف وحده. هز **"مايكل"** رأسه بشدة وهو يقول:

- لماذا تأتي إليّ لتتحدث معي في مثل هذه الأمور؟ لماذا تفسد عليّ جنتي الجميلة؟

- أنا أبحث عن الحقيقة.. أينما كانت تلك الحقيقة. ضحك **"مايكل جارفيلد"** وهو يقول:

- اذهب إلى صديقك الشرطي واتركني في جنتي يا إبليس!

- 13 -

بينما كان "بوارو" في طريقه إلى منزل المفتش "سبنس"، داخله شعور بأن ثمة خطرًا يقترب.. لقد بدأت الأمور تترابط ويلوح شبح الحل قريبًا. وفوجئ بأن صديقه ليس موجودًا في البيت، وأخبرته "إليزابيث ماك كاي" أن صديقه ذهب إلى قسم الشرطة، وأنها تعتقد أن شيئًا قد حدث وعندما سألها عما عساه أن يكون قد حدث قالت:

– لا أعلم على وجه التحديد.. اتصل به المفتش "راجلان" وطلب إليه سرعة الحضور. استأذن "بوارو"؛ لينصرف ولكن "إليزابيث" استمهلته حتى تحضر له خطابًا وصل إليه من الخارج على عنوانها. عادت تحمل الخطاب، وقالت:

– هل تسمح لي بالاحتفاظ بالظرف؛ لأن واحداً من أبناء أخي مولع بجمع طوابع البريد..

وافق "بوارو" وفض الظرف؛ ليقرأ الخطاب.. كان يحمل له المعلومات التي طلبها عن "أولجا سيمينوف".. لم تعد "أولجا" إلى بلدتها قط، وكانت لها صديقة تراسلها، وقالت صديقتها إن "أولجا" كانت تراسلها على فترات. وذكرت في خطاباتها أن مخدومتها سيدة كريمة، وأن لها صديقًا عرض عليها الزواج ثم انقطعت خطاباتها فجأة، وظنت صديقتها أن "أولجا" تزوجت بالشاب الإنجليزي وأنها تعيش في سعادة ومن ثم لم تقلق عليها..

فكر "بوارو" أن "ليزلي" عرض الزواج على "أولجا" ولكنه لم يكن جاداً.. وأن "ليزلي" تلقى مبلغًا كبيرًا من المال من شخص ما، على الأرجح "أولجا" نظير تزوير الوصية..

عادت "إليزابيث" إلى الحجرة وسألها "بوارو" عما تعرفه عن العلاقة بين "ليزلي" و"أولجا"، فقالت:

– لم تذكر "أولجا" شيئًا عن ذلك.. وكان "ليزلي" مرتبطًا بعلاقة مع سيدة

متزوجة، وربما حذر "أولجا" من ذكر أي شيء لمخدومتها عن علاقتها به.

– هذا محتمل.. فقد كان من المرجح أن السيدة "لليوين سمايث" تعرف أن "ليزلي فيريير" شاب سيئ السمعة وأنها ستحذر الفتاة منه. طوى "بوارو" الرسالة ودسها في جيبه، وسأل "إليزابيث" عن موعد عودة أخيها، وقالت:

– ليست لدي فكرة.. عاد "بوارو" إلى بيت مضيفته، وبينما كان يسير نحو الباب الأمامي قابلته صاحبة البيت، وهي سيدة عجوز مرحة وقالت له:

– هناك سيدة في انتظارك منذ بعض الوقت. فتح "بوارو" باب غرفة الاستقبال واستدارت السيدة "دريك"؛ لتواجهه عندما سمعت صوت الباب يفتح، وقالت:

– انتظرتك طويلاً يا سيد "بوارو"..

– آسف يا سيدتي.. كنت في قصر المحجر.. كذلك تحدثت إلى صديقتي السيدة "أوليفر"، ثم تحدثت بعض الوقت إلى غلامين.. "نيكولاس" و"ديزموند"..

– "نيكولاس" و"ديزموند"؟.. آه! نعم. قال "بوارو" برقة:

– يبدو أنك منزعجة. سألته بقلق:

– ألم تسمع الأخبار؟ أوه! يبدو أنك لم تسمع شيئًا!

– أي أخبار تعنين؟

– شيء فظيع.. لقد.. لقد مات.. قتله شخص ما..

– من الذي مات يا سيدتي؟ اجلسي يا سيدتي وهدئي من روعك ثم أخبريني بما حدث.. تقولين إن طفلاً آخر مات؟

– نعم.. "ليوبولد" أخوها!

– "ليوبولد رينولدز"؟

– نعم.. عثروا على جثته في ممر بين الحقول.. يبدو أنه كان عائدًا من المدرسة وانحرف عن الطريق ليلعب وقابله إنسان ضغط على رأسه في البركة حتى أغرقه.

– الطريقة نفسها التي قتلت بها "جويس". نعم .. نعم .. لاشك في أنه إنسان مجنون .. هذا شيء فظيع ..

– يجب أن تخبريني بكل شيء يا سيدتي.

– نعم .. جئت؛ لأصارحك بكل شيء ..

– من كان ذلك الشخص؟

– "ليوبولد" .. الطفل الذي قتل الآن .. ظننت، يا لها من غلطة لا تغتفر! لو أنني أخبرتك فربما توصلت إلى شيء.

– هل فكرت في أن "ليوبولد" هو الذي قتل أخته؟

– نعم .. هذا ما ظننته؛ لأنني لم أكن لأعرف في تلك اللحظة أنها ماتت ولكني رأيت على وجهه نظرة غريبة .. كان ذلك الغلام غريب الأطوار .. كان الإنسان يشعر ببعض الخوف وهو ينظر إليه .. كان ذكيًا ولكنه كان شاذًا .. تساءلت وقتها: لماذا يخرج "ليوبولد" من المكتبة في حين كان ينبغي أن يحضر مسابقة العنب المحمى فوق النار؟ وفكرت: ماذا كان يفعل؟ ولماذا تعلو وجهه تلك النظرة الغريبة؟ ولكن نظرته إليّ أزعجتني .. لهذا سقطت الزهرية من يدي وساعدتني "إليزابيث" على جمع قطع الزجاج المتناثرة .. وقد عدت بعد ذلك إلى غرفة المائدة ولم أفكر في الموضوع حتى عثرنا على "جويس" .. وبدأت في تلك اللحظة أفكر ..

– فكرت في أن "ليوبولد" هو القاتل؟

– نعم .. هذا ما فكرت فيه .. كنت أعتقد طوال عمري أنني أعرف .. أعرف كل شيء وأن نظرتي للأمور سليمة .. ولكن موته يؤكد أنني كنت مخطئة .. لا أشك في أنه دخل المكتبة ورآها ميتة مما سبب له صدمة شديدة وأراد أن يغادر الحجرة دون أن يراه أحد، وعندما رفع بصره ورآني ارتد إلى الحجرة؛ ليخرج عندما تكون الصالة خالية وليس بسبب أنه قتلها .. كلا ..

– ومع هذا لم تقولي شيئًا؟ لم تذكري شيئًا حتى بعد اكتشاف الجثة؟

– أوه! كلا .. لم أستطع .. فقد كان .. طفلاً صغيراً .. مجرد طفل في العاشرة .. كان طفلاً غريب الأطوار وفكرت في التستر عليه حتى لا يترك الأمر للشرطة .. خشية أن يرسلوه إلى الإصلاحية بينما يمكن أن يتلقى العلاج المناسب .. كنت أقصد خيراً .. يجب أن تصدق أنني كنت أقصد الخير.

سكتت السيدة برهة ثم استرسلت تقول:

– نعم .. كنت أقصد الخير .. فقد كانت نظرات وجهه تقول إنه ربما رأى القاتل، أو شاهد شيئاً يكشف عن شخصية القاتل .. مما جعل القاتل يشعر أنه غير آمن، ومن ثم انتهز الفرصة وأغرقه في البركة حتى يسكته إلى الأبد. لو أنني تكلمت .. لو أنني أخبرتك أو أخبرت الشرطة .. ولكنني كنت أقصد خيراً .. قال "بوارو" بهدوء:

– علمت اليوم فقط يا سيدة "دريك" أن "ليوبولد" كان يحصل في الفترة الأخيرة على كثير من النقود .. لابد أن شخصاً كان يدفع له المال ليسكت.

– ولكن من .. من يكون ذلك الشخص؟

– سوف نعرفه يا سيدتي .. وثقي بأن الوقت لن يطول الآن ...

- 14 -

تبادل "بوارو" حديثاً قصيراً مع المفتش "سبنس"، ثم استأجر سيارة؛ لتعود به إلى "لندن"، وطلب من السائق المرور بالمدرسة في الطريق؛ ليقابل الآنسة "إيملين" التي فوجئت بالزيارة وبرر الزيارة بقوله:

– أنا قانع بآرائي ولكنني أشعر بالارتياح عندما أجد من يشاركني في آرائي. أنا أعرف قاتل "جويس رينولدز" وأعتقد أنك تعرفينه أيضاً.

– أنا لم أقل ذلك.

– لم تقوليه ولكنه ربما كان مجرد رأي ..

– حسن.. أعترف لك أنني كوّنت رأيًا ولكن ليس معنى هذا أن أصارحك به.

طلب "بوارو" ورقة ليسجل فيها أربع كلمات لتبدي الآنسة "إيملين" رأيها فيما إذا كانت توافقه عليها، وعندما فرغ من الكتابة وقرأت الآنسة "إيملين" الكلمات قالت إنها توافقه على اثنتين منها. قال "بوارو" مفكرًا:

– الماء.. بمجرد أن سمعت الكلمة عرفت مثلما حدث لي.. أنت واثقة وأنا واثق والآن قد قتل طفل آخر في البحيرة.. نقلت إليّ الخبر سيدة عاطفية، ولكنني لست عاطفيًا.. كان طفلاً ولكنه لقي حتفه.. ليس مجرد حادث.. كان يريد نقودًا وخاطر بحياته.

– أرى أنك مهتم بالعدالة أكثر من الناحية العاطفية.

– العاطفة من جانبي لا تفيد "ليوبولد".. ما أسعى إليه هو العدالة.. العدالة التي توفر الحماية لآخرين يتهددهم المصير نفسه.

أضاف "بوارو" أنه في طريقه الآن إلى "لندن" ليلتقي ببعض المسؤولين لوضع اللمسات الأخيرة لحل لغز القضية. ثم سألها عما إذا كانت تثق بـ "نيكولاس رانسوم" و "ديزموند هولاند". فقالت إنهما من الأشخاص الذين يمكن الاعتماد عليهم.

التقت "إليزابيث ماك كاي" مع إحدى صديقاتها في السوق. وقالت السيدة "كارتوايت" إن رجال الشرطة استدعوا بعض خبراء الغابات لقطع بعض الأشجار المهددة بالسقوط ومنعوا الناس من الاقتراب من مكان العمل.. واستمعت "إليزابيث" إلى الخبر كأنها لا تعرف شيئًا عن الموضوع. تلقت السيدة "أوليفر" برقية من "هركيول بوارو" تقول:

– أحضري السيدة "بتلر" و "ميراندا" إلى مسكنك فورًا.. لا تضيعي لحظة واحدة.. استشارة طبيب من أجل إجراء العملية..

أدركت السيدة "أوليفر" أن لحظة الخطر التي كان يتوقعها "بوارو" قد اقتربت، وأنه لابد من تصرف سريع، ونقلت الخبر إلى السيدة "بتلر" التي حاولت

الاعتراض، وأمام إصرار "أريادن" أعدت حقيبتين وضعت فيهما الأشياء الضرورية.

وقالت السيدة "أوليفر" إن الحجة التي سيبدونها للناس أن "ميراندا" كانت مصابة باحتقان في اللوزتين، وأنها تحتاج إلى إجراء عملية عاجلة.

عندما سمعت "ميراندا" الخبر قالت إنها سوف تتغيب بضع دقائق؛ لأنها لابد من أن تقابل صديقًا وتخبره بالموقف العاجل الذي استدعى السفر إلى "لندن"، وقالت السيدة "أوليفر" قبل انصراف "ميراندا" إنهم سوف يتناولون الطعام في مطعم "بلاك بوي" في "هافرشام"..

عادت "ميراندا" مبتهجة. وعندما نقلتهم السيارة قالت "جوديث باركر":

– أعتقد أنك أصبت بنوبة من الجنون يا "أريادن".. ما سر هذه العجلة؟ لماذا كل هذا الاستعجال؟

– سوف تعرفين السبب في الوقت المناسب.. وأصارحك أنني لا أعرف ما إذا كنت أنا التي جننت أم هو..

– هو؟! من تقصدين؟

– "هركيول بوارو"! في "لندن"، كان "بوارو" يجلس مع أربعة رجال.. المفتش "تيموثي راجلان"، والمفتش "سبنس"، و"ألفريد ريتشموند" كبير مفتشي شرطة الإقليم، والرابع رجل قانوني من مكتب النائب العام.. سئل "بوارو" عما إذا كان متأكدًا وقال إنه واثق تمامًا بما توصل إليه، وقال الرجل القانوني:

– سوف نحصل على دليل مادي عاجلاً. قال "بوارو" إنه حصل على المعلومات من أحد مكاتب بيع الأملاك الموثوق بها، وإنه تأكد بما لا يتطرق إليه الشك أن السيدة "دريك" في سبيل شراء جزيرة في "اليونان"، وأضاف "بوارو" أنه سوف يقدم للعدالة في خلال أربع وعشرين ساعة شاهد عيان على ارتكاب الجريمة. وسأله الرجل القانوني:

– وأين هذا الشاهد الآن؟

– في الطريق إلى "لندن"..

– ولكنك تبدو مضطربًا.

– هذا حق.. على الرغم من كل الاحتياطات الوقائية التي اتخذتها فانا مضطرب غاية الاضطراب؛ لانني أواجه قاتلاً لا يقف في سبيله شيء، وربما تكون بذرة الجنون قد نبتت في عقله منذ بعض الوقت، وهي تنمو وتنمو.. على أية حال تتوقف الخطوة الأولى على ما سوف يسفر عنه التنقيب في الغابة.. استأذن "بوارو" على وعد أن يكون على اتصال مستمر، وعندما خرج سأل كبير المفتشين:

– هل أنت واثق بأن صديقك يتمتع بكامل قواه العقلية؟

قال "سبنس" وهو شارد اللب:

– لم يسبق لـ"بوارو" أن خيب الآمال..

- 15 -

اختارت السيدة "أوليفر" مائدة بالقرب من النافذة، وسألت السيدة "بتلر" عن الأكلة المحببة لـ"ميراندا"، وقالت إنها تحب الدجاج المشوي. وطلبت السيدة "أوليفر" دجاجًا مشويًا لثلاثة أفراد.. عندما أحضر الطعام ولم تصل "ميراندا" من الحمام. قالت السيدة "أوليفر" بقلق:

– هل تعرف "ميراندا" المكان الذي اخترناه؟ قالت السيدة "بتلر" بقلق:

– رأت المائدة قبل دخولها الحمام. سألت السيدة "أوليفر" عما إذا كانت الفتاة تشعر بالدوار عندما تركب السيارة، وقالت الأم:

– كان يحدث لها ذلك عندما كانت صغيرة.

– ولكن ألا ترين أن غيابها طال أكثر مما ينبغي؟

– ربما تكون قد توقفت في الحديقة لتنظر إلى طائر أو شجرة..

– اذهبي إليها وناديها.. يجب أن تواصل الرحلة..

*****

تلقت "إليزابيث ماك كاي" محادثة تليفونية من الرقيب "جودوين" يسأل عن المفتش "سبنس"، وعندما أخبرته أنه سافر إلى "لندن"، أخبرها أن عملية الحفر في الغابة أسفرت عن اكتشاف جثة فتاة الأوبرا المنكودة الطالع، وأنه اتضح من معاينة الجثة أنها ماتت مقتولة بطعنة سكين.

*****

عندما غادرت الأم الحمام، انتظرت "ميراندا" دقيقة أو دقيقتين ثم فتحت الباب وأطلت برأسها في حذر ثم تسللت إلى الحديقة، وسارت إلى خارج المطعم حيث كانت تقف سيارة يجلس إلى عجلة قيادتها رجل أشيب الشعر ذو لحية رمادية يقرأ صحيفة. فتحت "ميراندا" باب السيارة وصعدت وهي تضحك بمرح قائلة:

– يبدو شكلك مضحكًا.

– اضحكي من أعماق قلبك.. لا شيء يمنعك من الضحك. أطلق السائق العنان لسيارته وانحرفت عن الطريق الرئيسي نحو طريق فرعي وقال ذو اللحية:

– لدينا متسع من الوقت.. سوف ترين في الوقت المناسب البلطة المزدوجة.. أما المنظر في تلال "كيلتربيري" فرائع.. تجاوزته في تلك اللحظة سيارة مسرعة وقال ذو اللحية محنقًا:

– شبان أغبياء.. كان أحد الشبان طويل الشعر الذي يصل إلى كتفيه، بينما يضع الآخر على عينيه نظارة سميكة ويتحدث بلهجة أقرب إلى الإسبانية، وقالت "ميراندا":

– ألا تعتقد أن أمي سوف تقلق عليّ؟

– لن يكون لديها وقت للقلق.. عندما تبدأ في القلق عليك، تكونين قد بلغت المكان الذي تريدينه.

*****

في "لندن"، رفع "بوارو" سماعة التليفون، وجاءه من الطرف الآخر صوت السيدة "أوليفر" تقول له:

– فقدنا "ميراندا".

– ما الذي تقصدينه بذلك؟

– توقفنا لتناول الطعام في الـ"بلاك بوي" وذهبت إلى الحمام، وعندما طال غيابها وبحثنا عنها، سمعنا أن رجلاً أشيب الشعر رمادي اللحية صحبها معه في سيارته.

– كان ينبغي أن ترافقها إحداكما.. هل السيدة "بتلر" قلقة؟

– إنها في حالة يرثى لها وتفكر في الاتصال بالشرطة..

– هذا خير ما تفعله.. سأتصل بهم أنا أيضاً.

– هل حياة "ميراندا" معرضة للخطر؟

– ألا تعلمين ذلك؟ هل عرفت أنهم عثروا على الجثة.. سمعت الخبر الآن.

– أية جثة؟

– الجثة الملقاة في البئر..

- 16 -

قالت "ميراندا" وهي تنظر حولها:

– منظر خلاب! كانت صخور التلال تروي بعض قصص الأساطير القديمة.

وسألت "ميراندا" باهتمام:

– ما سبب وجود كل هذه الصخور؟ قال ذو اللحية:

– لإجراء الطقوس.. طقوس العبادة وتقديم الأضاحي.. هل تعرفين معنى

التضحية يا "ميراندا"؟

– أعتقد هذا..

– يجب أن تكوني أنت.. هذا أمر بالغ الأهمية.

– هل تعني أن ذلك ليس نوعاً من العقاب؟

– نعم.. التضحية شيء آخر.. تموتين من أجل أن يعيش الآخرون.. تموتين لكي يبقى الجمال.

– هل تعرف أنني كنت أفكر في أنه ينبغي لك أن تموت؛ لأن ما فعلته قتل شخصاً آخر؟

– ما الذي أدخل هذه الفكرة في رأسك؟

– كنت أفكر في "جويس".. قلت لها شيئاً تسبب في موتها.. كنت أحتاج إلى أن أخبر أحداً.. ذهبت "جويس" إلى "الهند" ورأت النمور والفيلة.. هل كان موتها تضحية؟

– إلى حد ما..

– ألم يحن الوقت بعد؟

– لا تزال الشمس فوق الأفق.. بعد خمس دقائق تميل إلى الغروب وتسقط أشعتها الذهبية فوق الصخور.

*****

أخلدا إلى الصمت مرة أخرى في السيارة، وقال رفيقها في الرحلة إن اللحظة الرائعة قد حانت وإن أحداً لا يصل إلى تلك البقعة النائية بعد الغروب.

ارتقيا التل وتوقفا عند نتوء صخري، وسألها الرجل ما إذا كانت سعيدة وقالت "ميراندا" بافتتان:

– المنظر بديع من فوق هذه الربوة.

– تستطيعين أن تري الآن علامة البلطة المزدوجة محفورة في الصخر. اشربي

هذا حتى تتم الطقوس.. نظرت "ميراندا" إلى الرسم المنقوش على الصخر، وتناولت القدح الذي قدمه ذو اللحية وشمت رائحته قائلة:

– له رائحة الخوخ..

– نعم.. انظري إلى أشعة الشمس الذهبية.. أدار الفتاة نحو الشمس ووقف خلفها. ولم يفطن إلى الشابين اللذين تسلقا التل في صمت، وعندما طلب الرجل من "ميراندا" أن تشرب قفز نحوه أحدهما ملوحًا بسكين في يده، بينما احتوى الثاني الفتاة بين ذراعيه وأسرع بالهبوط بينما دارت معركة بين زميله والرجل ذي اللحية.

✽✽✽✽✽

عندما أصبحت "ميراندا" في أمان، قال لها "**نيكولاس ديزموند**" باضطراب:

– كيف تسلمين نفسك لقاتل آثم؟

– أخبرني أننا سنقوم بتضحية وفق طقوس العهود الماضية..

– كفي عن ترديد هذا الهراء.. لقد عثروا على جثة فتاة الأوبرا داخل البئر..

– أوه.. أرجو ألا يكون ذلك في بئر التمني! من الذي أسقطها داخله؟

– الشخص نفسه الذي جاء بك إلى هذا المكان.

✽✽✽✽✽

التقى "**بوارو**" مع الرجال الأربعة مرة أخرى ومعه في هذه المرة سيدة في الثلاثين من عمرها، وطفلة وشابان وقدمهم قائلاً:

– السيدة "**بتلر**".. الآنسة "**ميراندا**".. السيد "**نيكولاس رانسوم**" والسيد "**ديزموند هولاند**". قال لـ"ميراندا":

– إن كبير مفتشي الشرطة يريد أن يوجه إليها بعض الأسئلة بشأن شيء حدث منذ عامين: ذكرت ذلك الشيء لشخص واحد.. أليس كذلك؟

– أخبرت "جويس" فقط.

– ما الذي قلته لـ"جويس" على وجه التحديد؟

– إنني رأيت جريمة..

– هل أخبرت أحدًا آخر؟

– كلا.. ولكنني أعتقد أن "**ليوبولد**" عرف، فقد اعتاد أن يتنصت على الحديث.

– هل سمعت أن "جويس" قالت قبيل بدء الحفل إنها رأت جريمة ترتكب؟ هل رأت جريمة حقًا؟

– كلا.. كانت تردد ما سمعته مني مدعية أنها هي التي رأت الجريمة.

– هل تستطيعين أن تقصي علينا ما رأيته بنفسك؟

– لم أفطن وقتها إلى أنها جريمة.. تسلقت شجرة في حديقة المحجر كعادتي لأراقب الطيور والسناجب، ورأيت شخصين؛ أحدهما رجل والأخرى سيدة، وكان الرجل يحمل فتاة حول عنقها وشاح ملطخ بالدم. وظننت أنهما يحملانها إلى المستشفى.. أحسست وقتها برعب هائل وتحركت من مكاني والتفتت السيدة نحوي قائلة لصاحبها إنها سمعت صوتًا، ولكنه قال إنها واهمة.. لم أفكر في الأمر حتى.. سكتت فجأة وشجعها "بوارو" على الكلام فقالت:

– وقع حادث آخر.. كنت في هذه المرة أراقب طائر نقار الخشب من بين الأغصان حتى رأيت الشخصين أنفسهما جالسين يتحدثان عن جزيرة يونانية وسمعت السيدة تقول إنها وقعت الأوراق ويجب أن يكونا على حذر ولا يتعجلان الأمور.. وتحركت في مكاني وقالت السيدة إنها سمعت صوتًا، ولكن الرجل أكد لها أن المكان خال من أي مخلوق.. تذكرت ما حدث في المرة السابقة وتأكدت أن ما شاهدته في المرة الأولى كان جريمة حقيقية.

– هل أنت متأكدة من الشخصين اللذين رأيتهما؟

– نعم.. السيدة "**دريك**".. والسيد "**مايكل جارفيلد**".

– لماذا لم تخبري أحداً بما رأيته؟

– . . . ظننت أنها نوع من التضحية!

– من الذي قال لك ذلك؟

– "مايكل". . قال إن التضحيات لازمة. سألها "بوارو" برقة:

– هل كنت تحبين "مايكل"؟

– أوه. . نعم. . كنت أحبه كثيراً!

- 17 -

قالت السيدة "أوليفر" لـ "بوارو":

– أخيراً عثرت عليك. . أريد أن أعرف التفاصيل. . كيف عرفت أنها "روينا دريك"؟ قال "بوارو":

– الماء. . كنت أريد أن أعرف شخصاً بلله الماء بشكل ظاهر؛ لأن القاتل الذي كان يضغط على رأس الفتاة لابد وأن يكون قد قوبل بشيء من المقاومة تسببت في انسكاب الماء على ثيابه، وعندما أخبرتني الآنسة "هويتاكر" بقصة الزهرية التي تحطمت حملت على الخيط الرئيسي الذي قادني إلى حل اللغز. . كانت السيدة "دريك" تحتاج إلى سبب مقنع يبرر بلل ثيابها ووجدت في الزهرية ما يساعدها. سألت السيدة "أوليفر":

– معنى هذا أن "جويس" لم تر جريمة قط؟

– لم تكن السيدة "دريك" تعلم ذلك وعندما سمعت الفتاة تقول إنها رأت جريمة ترتكب. كان لابد لها من تصرف سريع لتسكتها إلى الأبد.

– و"مايكل جارفيلد". . هما ثنائي متناقض.

– "روينا دريك" سيدة أنيقة مملوءة بالحيوية والنشاط، ميالة للسيطرة وهي في

منتصف العمر، وهي ممثلة بارعة أيضاً. . مثلت عليّ دور الإنسانة المصدومة لموت "ليوبولد".

– هل تعتقد أن "مايكل جارفيلد" كان يحبها؟

– "مايكل" إنسان مفتون بالجمال. . ولكنه في حقيقة الأمر لا يحب سوى نفسه. . وقد أدى به عشق الجمال إلى لون من ألوان الجنون. يريد أن يحيل الحياة من حوله إلى جنة. . وهو يحتاج إلى ثروة ضخمة لكي يحقق أحلامه، ووجد بغيته في "روينا دريك". أعتقد أنه هو الذي دفع المال لـ "فيربيه"؛ كي يزيف وصية لصالح "أولجا سيمينوف"، وأوهم فتاة الأوبرا أنه يحبها وسيتزوجها، ولو أنها وضعت يدها على الثروة فلابد أنه كان يدبر خطة للتخلص منها بعد أن يحقق أهدافه، أما إذا آلت الثروة إلى "روينا دريك" فهي أقدر على مساعدته في تنفيذ غرضه. . ولكنه في جميع الحالات لا يحب سوى نفسه.

– لا أتصور إنساناً في الوجود يقتل ليحقق حلمه في إقامة جنة يحبها. . لاشك في أنه إنسان مجنون.

– نعم. . إنه مصاب بجنون الابتكار. . أن يبدع شيئاً لا يقدر عليه غيره. . استطاع أن يحول أرض المحجر الصخرية إلى جنة غائرة، وكان حلمه الأكبر أن يمتلك إحدى جزر "اليونان"؛ ليحولها إلى جنة أخرى ليس لها مثيل في العالم.

– كيف اتجهت شكوكك نحو "مايكل جارفيلد"؟

– في آخر مرة التقينا فيها قال لي وهو يضحك: ابتعد عني أيها الشيطان واذهب إلى أصدقائك من رجال الشرطة. . وهمست لنفسي في تلك اللحظة بعد أن تبينت لي الحقيقة: سوف أتركك ورائي أيها الشيطان. . شيطان شاب يظهر بين الحين والحين للبشر الفانين. .

✽✽✽✽✽

كانت في الحجرة سيدة أخرى لم تشترك في الحديث. وتململت السيدة في

جلستها قائلة:

– شيطانة.. نعم.. لقد كانت هكذا دائماً.. قال "**بوارو**":

– كان رجلاً شديد الجمال يعشق الجمال.. وهو في سبيل ذلك على استعداد للتضحية بأي شيء.. أعتقد أنه أحب "**ميراندا**" ولكنه كان على استعداد للتضحية بها لينقذ نفسه. قالت "**جوديث بتلر**":

– جنون.. لاشك أنه مجنون.

– سيدتي.. ابنتك في أمان الآن، ولكن هناك أمرًا أحب أن أعرفه منك..

– أنت تستحق بعد كل ما فعلته أن أخبرك بكل ما تريد معرفته يا سيد "**بوارو**".

– هل ابنتك.. هل هي أيضًا ابنة "**مايكل جارفيلد**"؟ سكتت "**جوديث**" برهة، ثم قالت بصوت منخفض:

– نعم..

– ولكن هل الفتاة لا تعرف ذلك؟

– كلا.. ليس لديها أدنى فكرة.. عرفته منذ سنوات طويلة واخترعت قصة الزوج الطيار الذي مات.. عشقت "**مايكل**" ولكنني شعرت بالخوف منه.. من طبيعته.. عشقه للجمال والإبداع.. ورحلت ثم وضعت ابنتي.. واستقر بي المقام في "**وودلي كومون**".. وسكتت برهة ثم استرسلت قائلة:

– ثم جاء "مايكل ليعمل في حديقة المحجر.. لم أعر الأمر التفاتا، وكان ذلك شأنه أيضًا، حتى بدأت روابط الألفة بينه وبين "**ميراندا**".. توجه "**بوارو**" إلى مكتبه وأخرج من أحد الأدراج لوحة مرسومة بالقلم الرصاص عليها توقيع "**مايكل جارفيلد**" وقال:

– صورة ابنتك.. رسمها حتى لا ينسى ملامح وجهها.. ولم يمنعه ذلك من التفكير في قتلها. وأشار "**بوارو**" إلى كلمة مكتوبة بالخط الدقيق على طرف اللوحة وطلب من السيدة "**بتلر**" أن تقرأها، وقالت:

– "**إيفيجينيا**".

– نعم.. ضحى "**أجا ممنون**" بابنته "**إيفيجينيا**" حتى يحصل على الرياح التي دفعته نحو طروادة.. كذلك كان "**مايكل**" على استعداد للتضحية بابنته لإنشاء جنته التي يهواها. انحنى "**بوارو**" فوق يد "**جوديث بتلر**" وقبلها ثم قال:

– وداعًا يا سيدتي.. أبلغي تحياتي لابنتك.

– سوف تظل تذكرك دائماً.. فهي مدينة لك بحياتها.

– من الأفضل لها أن تنسى.. فبعض الذكريات يحسن أن ندفنها. اتجه "**بوارو**" نحو السيدة "**أوليفر**" قائلاً:

– وداعًا يا سيدتي.. وشكرًا لك أن.. .قاطعته السيدة "**أوليفر**" قائلة:

– أعرف أنك سوف تلقي بكل اللوم عليّ كعادتك!

تمت بعون الله